حكم جواز العفو عن الكفر
من خلال فكر الإمامين (النسفي (ت ٧١٠هـ)
والشعراني(ت ٩٢٣هـ)
(دراسة تحليلية)

Hadiths mentioned in Rad al‹Shahada:
Collection, Classification, and Study

إعداد

د/ مديح عبدالله عبدالجواد حسن

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بكلية أصول الدين والدعوة
بالزقازيق جامعة الأزهر الشريف ، مصر

حكم جواز العفو عن الكفر من خلال فكر الإمامين (النسفي (ت ٧١٠هـ) والشعراني(ت ٩٢٣هـ)) (دراسة تحليلية)

مديح عبدالله عبدالجواد حسن
قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر الشريف، الزقازيق ، مصر
البريد الالكتروني: madih.hasan201@azhar.edu.eg

الملخص:

أن الإمام الشعراني استقى أصول مذهبه في تلك المسألة من أهل الكشف وخاصة **[ابن عربي، والإمام الجيلي]**، والمتكلمين وعلى رأسهم الغزالي وابن جماعة، والإمام الشعراني يعتقد بخلود الكافرين في النار أبد الآبدين، ولا يخرجون منها كما هو واضح من خلال كتابه القواعد الكشفية، والفتوحات المكية لابن عربي، وقد أكد الإمام الشعراني ذلك في كتابه اليواقيت والجواهر حين بسط الكلام على أهل الجنة وأهل النار وعن أحوالهم في الدارين ، وكذا كتابه كشف الغمة، وقد علم الله تعالى الأشياء قبل خلقها وبذا قدرها وكتبها، كما أجاز الإمام الأشعري العفو عن الكفر عقلا لا شرعا، وقول الباقلاني بإيمان فرعون مردود عليه كما مر آنفا. والواضح أن هناك اتفاق بين أهل السنة والجماعة في المبدأ واختلفوا في التطبيق؛ لأن التكفير أمر هائل عظيم الخطر ومن كفر إنسانا فكأنه أخبر عنه بأن عقابته في الأخرة العقوبة الدائمة أبد الآبدين، كذا أهل الكشف متفقون مع المتكلمين في ذلك.

وكان من أهم التوصيات عدم مخالفة ظاهر الشرع، ومحاولة التوفيق بين النقل والعقل ودرء ما يوهم بينهما من تعارض، ومحاولة الاستدلال بكل ما يوصل للحقيقة من لغة، ونقل، وعقل، وإجماع، كما أوصي بدراسة المنطلقات لكل مذهب من المذاهب، كما أوصي بمحاولة درء ما يتوهم بين أهل السنة وأهل الكشف مما يوهم ظاهره التعارض.

الكلمات المفتاحية : حكم جواز العفو عن الكفر، الفرق الإسلامية ، الإمام النسفي، الإمام الشعراني.

The Permissibility of Forgiving Disbelief According to the Thought of the Two Imams (Al-Nasafi (d. 710 AH) and Al-Sha'rani (d. 923 AH)) (An Analytical Study)

Madih Abdullah Abd al-Jawad Hassan
Department of Creed and Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Zagazig, Al-Azhar University, Zagazig, Egypt
Email: madih.hasan201@azhar.edu.eg

Abstract:
Imam Al-Sha’rani derived the principles of his doctrine on this issue from the people of revelation, especially [Ibn Arabi and Imam Al-Jili], and the theologians, headed by Al-Ghazali and Ibn Jama’ah. Imam Al-Sha’rani believed that the infidels would remain in Hell forever and ever, and would not leave it, as is clear from his book Al-Qawa’id Al-Kashfiyyah and Al-Futuhat Al-Makkiyyah by Ibn Arabi Imam Al-Sha’rani confirmed this in his book Al-Yawaqit wal-Jawahir when he elaborated on the people of Paradise and the people of Hell and their conditions in both abodes, as well as in his book Kashf Al-Ghummah. God Almighty knew things before creating them, and thus He determined and wrote them down. Imam Al-Ash’ari also permitted forgiveness of disbelief based on reason, not on the Sharia. Al-Baqillani’s statement about Pharaoh’s faith is rejected, as mentioned above. It is clear that there is agreement among the people of the Sunnah and the community regarding The principle differed in its application, because excommunication is a serious and immensely dangerous matter. Whoever excommunicates someone is as if he has declared that his punishment in the Hereafter will be eternal and everlasting. Thus, the scholars of revelation agree with the theologians on this. Among the most important recommendations was not to contradict the apparent meaning of Islamic law, to attempt to reconcile the transmitted texts and reason, to avoid any apparent contradiction between them, and to attempt to deduce evidence from everything that leads to the truth, from language, transmitted texts, reason, and consensus. I also recommend studying the subject The starting points for each school of thought are discussed. I also recommend an effort to ward off any perceived contradiction between Sunnis and scholars of knowledge, which appears to suggest a contradiction.

Keywords: The ruling on the permissibility of pardoning disbelief, Islamic sects, Imam al-Nasafi, Imam al-Sha'rani.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد... قضية العفو عن الكفر، وخروج الكافرين من النار، مسألة خلافية، فيرى البعض: جواز العفو عن الكفر، مستدلا على ذلك بالنقل والعقل، بينما اتفق الجمهور الأعظم من الأمة على خلاف ذلك؛ ومنشأ هذا الخلاف يرجع إلى، مذاهب القوم في القول بفناء الجنة والنار، ففريق قائل بفنائهما، وآخر ببقائهما، وثالث بفناء أحدهما وبقاء الآخر، فالمتأمل لتلك المذاهب مع احتمال صحة فرضيتها يترتب عليها تساؤلات، فمن قال بفنائهما يترتب عليه جواز العفو عن الكفر، وخروج الكافرين من النار، فيتساوى عنده الإيمان والكفر، وتسقط قيمة العمل، وينتفي العدل الإلهي، وكذا لو صح كلام من قال ببقائهما فيترتب عليه عدم مناسبة مقدار مدة العمل في الدنيا مع الخلود والأبدية في الآخرة! ومع فرض صحة كلام من قال ببقاء أحدهما وفناء الآخر فهذا احتمال يرفضه العقل؛ لأنه ترجيح بلا مرجح؛ فيصير العفو في غير موضعه؛ لذا شاع الحديث عن هذه المسألة على لسان البعض بخاصة عن مصير أهل الجنة والنار في العفو والخلود بعد دخولهما، وعليه هل يجوز العفو عن المخلد في النار فيخرج منها أم لا؟ وللإجابة على كل تلك التساؤلات التي ذكرناها آنفا؛ سوف نذكر مذاهب الفرق الإسلامية بإيجاز، وبشيء من التفصيل مذهب المعتزلة، وأهل السنة والجماعة بجناحيها الأشاعرة، والماتريدية، والممثلة هنا في النسفي، وكذا مذهب أهل الكشف ممثلا في الشعراني والذي يدفع فيه عما أشيع عن الصوفية بشكل عام. وابن عربي بشكل خاص من جواز العفو عن الكفر، وخروج الكافرين من النار، من خلال ما سبق من تساؤلات ظهرت مشكلة البحث.

أهمية البحث وسبب اختياره .

فأي موضوع تظهر أهميته، وسبب اختياره للبحث لأمرين: الأمر الأول: يرجع لشخص مؤلفه، والأمر الثاني: يرجع إلى الموضوع ذاته، وقد توفر الأمران في بحثنا هذا:

أما بالنسبة للأمر الأول: فالإمامان (النسفي والشعراني) جديران بالبحث لأسباب كثيرة منها: معرفة فكر الإمامين في مسألة جواز العفو عن الكفر إثباتا ونفيا عند أهل السنة والجماعة وأهل الكشف، وكذا معرفة منهج الإمامين في تلك المسألة حيث يمثل أحدهما البرهان، والآخر العرفان.

وأما بالنسبة للأمر الثاني: وهو الموضوع ذاته، فهو جدير بالبحث؛ لأنه يجيب عن بعض التساؤلات التي قد تطرأ على أذهان البعض منها: هل يخرج أحد من الجنة، والنار بعد دخولهما؟ وهل للأعمال الصالحة ثواب، والطالحة عقاب أم ماذا؟ وهل تتفاوت دركات أهل النار، ودرجات أهل الجنة حسب أعمالهم، أم يتساوو؟ وهل يخلد العصاة في النار مثل الكفار أم ماذا؟ وهل تفنيا الجنة والنار وأهليهما أم تبقيا؟ أو تفنى أحدهما وتبقى الثانية؟ وهل يجوز العفو عن الكفار بخروجهم من النار أم لا يجوز؟ وهل الخلود والأبدية في الأخرة يتناسب مع مقدار مدة العمل في الدنيا أم ماذا؟ وهل هذا الخلود يتماشى مع العدل الإلهي؟ وبذا يصبح هناك توازنا بين الإيمان كمعتقد، والعمل الصالح كسلوك، وأيضا فك ما يتوهم من تعارض بين آيات الوعد والوعيد، ومسؤولية الفرد عن تصرفاته مع قناعته بالعدالة الإلهية؟ وهل اتفق متكلمو أهل السنة والجماعة فيما بينهما في هذا الموضوع أم اختلفا؟ هذا من ناحية، وبينهم وبين أهل الكشف من ناحية أخرى؟ ولتحقيق كل ذلك اعتمدت على منهج وخطة بحثية كالتالي:

منهج البحث وخطته:

اتبعت عند كتابتي لهذا الموضوع: المنهج التحليلي الذي يعتمد على التحليل النصي للمذاهب؛ بغية توضيح نقاط الاتفاق والاختلاف؛ وكذا المنهج الاستدلالي الذي يعتمد على النقل ولغته والعقل وطرقه، والعرفاني وإلهاماته، ولتحقيق كل ذلك رتبته على خطة بحثية مكونة من: فاتحة، وثلاثة مباحث، وخاتمة .

أما الفاتحة فتحتوي على: مقدمة، وفيها: مشكلة البحث، وأهميته، وسبب اختياره، ومنهج البحث وخطته، ومدخل: بعنوان: (إطلالة على حياة الإمام النسفي، والإمام الشعراني).

أما المباحث فثلاثة، وهي:

المبحث الأول

حكم جواز العفو عن الكفر وخروج الكافرين من النار عند الفرق الإسلامية

ويحتوي هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مذهب الفرق الإسلامية في حكم جواز العفو عن الكفر.

المطلب الثاني: مذهب المعتزلة في حكم جواز العفو عن الكفر.

المطلب الثالث: مذهب أهل السنة والجماعة في حكم جواز العفو عن الكفر.

المبحث الثاني

حكم جواز العفو عن الكفر وخروج الكافرين من النار عند الإمام النسفي

ويتضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تصوير مذهب الإمام النسفي في تلك المسألة.

المطلب الثاني: مذهب الأشاعرة من خلال فكر الإمام النسفي.

المطلب الثالث: الفرق بين الكفر وما دونه من الذنوب عند الإمام النسفي.

المبحث الثالث

حكم جواز العفو عن الكفر وخروج الكافرين من النار عند الإمام الشعراني

ويحتوي هذا المبحث على ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: تصوير مذهب الإمام الشعراني في تلك المسألة.

المطلب الثاني: تصوير مذهب ابن عربي في تلك المسألة من خلال فكر الإمام الشعراني.

المطلب الثالث: دفع الإمام الشعراني ما يثار حول مذهبه من شبهات.

وأما الخاتمة، فتحتوي على: أهم النتائج التي توصلت إليها، وأهم التوصيات التي أوصي بها، والفهارس وتتنوع إلى: ١) فهرس المصادر والمراجع ٢) وفهرس المحتويات والموضوعات.

وفي النهاية أقول : حسبي أني بذلت ما استطعت، فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخطأت فمن نفسي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مدخل

(إطلالة على حياة الإمام النسفي، والإمام الشعراني)

أرى أنه من الأهمية بمكان قبل الحديث عن هذا الموضوع، وذكر مذاهب القوم فيه أن نتحدث عن هذين العلمين محور بحثنا هذا، فنبدأ بالإمام النسفي، ونثني بالإمام الشعراني فنقول وبالله التوفيق.

الإمام النسفي (٦٣٧: ٧١٠هـ = ١٢٤٠: ١٣١٠م)

هو عبد الله بن أحمد بن محمود النّسفي، أبو البركات، الملقب بحافظ الدين، مفسر، متكلم، ما تريدي أصولي، من فقهاء الحنفية، من أهل إيذَج (بلدة بين خوزستان وأصبهان) ووفاته فيها، ونسبته إلى (نسف) ببلاد السند من وراء النهر بين جيحون وسمرقند بأوزبكستان، ولد عام (٦٣٧ هـ = ١٢٤٠م) بإيذَج، وتتلمذ على يد شيوخ كثيرين، وتفقه ببلاده على الوجيه الرازي[١]، وعلى شمس الأئمة الكردري[٢]، والسراج الثقفي[٣]، والزين البدواني[٤]، وسمع منه السغناقي[٥]، ومن مناقبه أنه كان واسع العلم، كثير المهابة، رأساً في الفقه والأصول والعقيدة والتفسير، بارعاً في الحديث وعلومه، ولم يكن له نظير في زمانه، وقد رحل إلى بغداد وغيرها، ثم عاد

---

(١) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي القرشي التيمي البكري الرازي، ولد في مدينة الري (إيران) عام ٥٤٤ هـ (١١٤٩م). أنظر الأعلام ج٨/ ص١١٠.

(٢) شمس الأئمة أبو الوحدة محمد بن عبد الستار بن محمد العمادي الكردري أنظر سير أعلام النبلاء دار الحديث- القاهرة-ط ٠(٢٠٠٦) ، ج: ١٦- ص: ٣٤٤.

(٣) محمد بن إسحاق بن إبراهيم الثقفي المعروف بأبو العباس توفي ٥٣٣ هـ أنظر الأعلام ج٦/ص٢٩.

(٤) "الزين البدواني" تشير على الأرجح إلى عالم الدين والفقيه الحنفي ٧١٠هـ، أنظر الأعلام ج٤/ ص ٦٧.

(٥) حسام الدين حسين بن علي بن حجاج السغناقي (٧١١ هـ - ١٣١١ م) فقيه وأصولي حنفي، وكان نحويًا جدليًا. راجع الأعلام ج٢/ ٢٤٧.

إلى وطنه، فكان إماما بها في الفقه والأصول، بارعا في الحديث ومعانيه، زاهدا ورعا، وله تصانيف مفيدة منها: شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل المسمى بتفسير النسفي، والمنار في أصول الفقه، وكتاب كنز الدقائق في الفقه، وكتاب كشف الأسرار شرح المنار في أصول الفقه، والوافي في الفروع ، والكافي في شرح الوافي، والمصفى في شرح منظومة أبي حفص النسفي في الخلاف [١]، والمستصفى في شرح الفقه النافع، وتوفي النسفي عام (٧١٠ هـ) = (١٣١٠م)[٢].

الإمام الشعراني(٨٩٨: ٩٧٣هـ = ١٤٩٣ :١٥٦٥م)

هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي نسبة إلى محمد ابن الحنفية[٣] الشعراني أبو محمد: من علماء الصوفية[٤] ولد في قلقشندة بمصر عام (٨٩٨هـ =١٤٩٣م)، ونشأ بساقية أبي شعرة من قرى المنوفية وإليها نسبته الشعراني، ويقال الشعراوي[٥]، وله تصانيف عدة منها: الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية، وآداب القضاء، وإرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين، والأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية، والبحر

(١)عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفي السمرقندي" ٥٣٧هـ انظر الأعلام ج ٦٠/٥.

(٢) راجع الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٤ ص ٦٧ ط دار العلم بيروت لبنان عام ١٩٩٨ م ، وأنظر الفوائد البهية ١٠١ والدرر الكامنة ج ٢/ ص ٢٤٧، والجواهر المضية ج١/ ص ٢٧٠ مقدمة تفسير النسفي ص ٨، ط دار المعرفة بيروت لبنان.

(٣)محمد بن الحنفية راجع الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٤ ص ١٨٠ ط دار العلم بيروت لبنان عام ١٩٩٨ م .

(٤)راجع الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٤ ص ١٨٠ ط دار العلم بيروت لبنان عام ١٩٩٨ م .

(٥)راجع الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٤ ص ١٨٠ ط دار العلم بيروت لبنان عام ١٩٩٨ م .

المورود في المواثيق والعهود، والبدر المنير في الحديث، بهجة النفوس والأسماع والأحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق، وتنبيه المغترين في آداب الدين، تنبيه المفترين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر، والجواهر والدرر الكبرى، الجواهر والدرر الوسطى، حقوق إخوة الإسلام، مواعظ الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة، درر الغواص من فتاوى على الخواص[١] ، ذيل لواقح الأنوار، والقواعد الكشفية في الصفات الإلهية، الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر، كشف الغمة عن جميع الأمة، لطائف المنن يعرف بالمنن الكبرى، لواقح الأنوار في طبقات الأخيار يعرف بطبقات الشعراني الكبرى، ولواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، مختصر تذكرة السويدي[٢]في الطب، مختصر تذكرة القرطبي[٣]، ومواعظ إرشاد المغفلين والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء، ومدار السالكين إلى رسوم طريق العارفين، ومشارق الأنوار، والمنح السنية، وشرح وصية المتبولي[٤]، ومنح المنة في التلبس بالسنة، والميزان الكبرى، واليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر[٥] وتوفي الشعراني بالقاهرة سنة (٩٧٣= ١٥٦٥م)[٦].

(١)على الخواص راجع الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٤ ص ١٨٠ ط دار العلم بيروت لبنان عام ١٩٩٨ م .

(٢)السويدي راجع الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٤ ص ١٨٠ ط دار العلم بيروت لبنان عام ١٩٩٨ م .

(٣) القرطبي راجع الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٤ ص ١٨٠ ط دار العلم بيروت لبنان عام ١٩٩٨ م .

(٤)المتبول راجع الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٤ ص ١٨٠ ط دار العلم بيروت لبنان عام ١٩٩٨ م .

(٥)راجع الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٤ ص ١٨٠ ط دار العلم بيروت لبنان عام ١٩٩٨ م .

(٦) انظر في ذلك الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٤ ص ١٨٠ ط دار العلم بيروت =

المبحث الأول

حكم جواز العفو عن الكفر وخروج الكافرين من النار عند الفرق الإسلامية

أرى أنه من الأهمية بمكان قبل البدء بإلقاء الضوء على مذهب الإمام النسفي، والإمام الشعراني أن نستعرض بإيجاز آراء الفرق الإسلامية: من شيعة[١]، وخوارج[٢] ومرجئة[٣]، وجهمية[٤]، وكرامية[٥]، وإباضية[٦] هذا بإيجاز، وبشيء من التفصيل مذهب المعتزلة[٧]، ومذهب الأشاعرة[٨]، وأما مذهب الماتريدية[٩] فسوف يرد عند حديثنا عن مذهب الإمام النسفي[١] منعا للتكرار، وذلك في ثلاثة مطالب:

=

لبنان عام ١٩٩٨ م ٠ وأنظر الشذرات ج٨/ ص ٣٧٢. ومقدمة الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية ص ٧، والقواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية ص٣: ١٠، وكشف الغمة عن جميع الأمة ص ٣،ومقدمة الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار ص٢، ومقدمة البحر المورود ص ٥. والمنح السنية ص ٧.

(١) راجع مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين تأليف الإمام الأشعري اعتنى بتصحيحه هلموت ريتر الطبعة الثالثة دار النشر ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. من ١٦: ٦٤.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٧٢.

(٣)الفرق بين الفرق ص ٢٠٢.

(٤)الفرق بين الفرق ص ٢٢.

(٥)الفرق بين الفرق ص ٢٥، ١٠٣.

(٦)الفرق بين الفرق ص ١٠٣.

(٧)الفرق بين الفرق ص ١١٤: ١٨٤ وانظر مقالات الإسلاميين.

(٨)الفرق بين الفرق ص ٧٢.

(٩)الفرق بين الفرق ص ٧٢.

المطلب الأول

مذهب الفرق الإسلامية في حكم جواز العفو عن الكفر

المتأمل لمذهب متقدمي الفرق الإسلامية يجد أنهم انقسموا إلى قسمين : قسم يذهب لجواز العفو عن الكفر، والثاني يرى خلاف ذلك، حيث يرى الفريق الأول وعلى رأسهم المرجئة[٢] والجهمية[٣] والكرامية[٤] بجواز العفو عن الكفر.

يقول الإمام الأشعري(ت٣٢٤هـ)[٥] :(اختلف المرجئة في تخليد الله الكفار على مقالتين: فقالت: الفرقة الأولى منهم وهم أصحاب جهم بن صفوان[٦] الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى أهلهما حتى يكون الله موجودا لا شيء كما كان موجودا لا شيء معه، وأنه لا يجوز أن يخلد الله أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وهذا رد ما اتفق المسلمون عليه

=

(١) أبو البركات النسفي ، راجع الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٤ ص ٦٧ ط دار العلم بيروت لبنان عام ١٩٩٨ م ، وأنظر الفوائد البهية ١٠١ والدرر الكامنة ج ٢/ ص ٢٤٧، والجواهر المضية ج١/ ص ٢٧٠ ومقدمة تفسير النسفي ص ٨، ط دار المعرفة بيروت لبنان.

(٢) راجع مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين تأليف الإمام الأشعري اعتنى بتصحيحه هلموت ريتر الطبعة الثالثة دار النشر ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ص ١٤٩.

(٣) نفس المرجع نفس الصفحات.

(٤) نفس المرجع ص: ١٤١.

(٥) راجع الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٤ ص ١٨٠ ط دار العلم بيروت لبنان عام ١٩٩٨ م .

(٦) نفس المرجع ص ١٤٨.

ونقلوه نصا، وقال المسلمون كلهم إلا جهما: إن الله يخلد أهل الجنة في الجنة ويخلد الكفار في النار)[١].

بينما يرى الفريق الثاني وعلى رأسهم الخوارج[٢] والشيعة[٣] والإباضية[٤] والمعتزلة[٥] أن الكفر لا يجوز العفو عنه، بل إن صاحبه مخلد في النار؛ حتى أنهم قد طبقوا حكمهم هذا على أهل الكبائر.

ويفرق الإمام الأشعري بين الخوارج والمعتزلة فيقول: (أما الوعيد فتقول المعتزلة فيه: وقول الخوارج قول واحد؛ لأنهم يقولون: إن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم في النار خالدون فيها مخلدون، غير أن الخوارج يقولون: إن مرتكب الكبائر ممن ينتحل الإسلام يعذبون عذاب الكافرين، والمعتزلة يقولون: إن عذابهم ليس كعذاب الكافرين)[٦].

وسبب اختلافهم هذا راجع لاختلاف منطلقاتهم لمفهوم الإيمان؛ حيث يرى الفريق الأول أنه معرفة وإقرار، في حين يرى الفريق الثاني أنه تصديق وعمل، بينما يرى جمهور المسلمين أنه تصديق فقط فدائرة الحمل عند الجمهور أوسع؛ وبناء على ما سبق من منطلقات فإن الجنة والنار تفنيان عند الفريق الأول، باقيتان عند الفريق الثاني؛ وعليه فلا يجوز العفو عن الكفر ولا خروج للكافرين من النار.

(١) نفس المرجع ص ١٤٨.
(٢) نفس المرجع ص ٨٦.
(٣) نفس المرجع ص ٧٣: ٧٤.
(٤) نفس المرجع ص ١١٠.
(٥) نفس المرجع ص ١٢٤.
(٦) نفس المرجع ص ١٢٤.

وبعد أن ذكرنا بإيجاز مذاهب الفرق الإسلامية، نذكر بشيء من التفصيل مذهب المعتزلة في تلك المسألة.

المطلب الثاني

مذهب المعتزلة في حكم جواز العفو عن الكفر

استقر المعتزلة على أن الله لا يغفر الكفر، ولا يخرج الكافرين من النار؛ لأن من دخل النار خلد فيها أبد الآبدين.

يقول الإمام الأشعري: "وأجمع أصحاب الوعيد من المعتزلة أن من أدخله الله النار خلده فيها"(١).

ويفصل القاضي عبد الجبار(ت ٤١٥هـ)(٢) ذلك في الوعد والوعيد حيث بين فيه حقيقة: الوعد والوعيد، والخلف والكذب، وبعد تعريفه لتلك المصطلحات وصل لنتيجة مؤداها:(أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة ولا يجوز عليه الخلف والكذب .... وإلى هذا أشار تعالى بقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق : ٢٩]) (٣) .

---

(١) نفس المرجع ص ٢٧٤..

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار / ت عبد الكريم عثمان ط الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة ٢٠٠٩م. ص ١٣٥: ١٣٦. وانظر المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار / ت عمر عزمي ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف.ص ٢٢٨.

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار / ت عبد الكريم عثمان ط الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة ٢٠٠٩م. ص ١٣٥: ١٣٦. وانظر المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار / ت عمر عزمي ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف.ص ٢٢٨.

ويقول في موضع أخر: (أما الدلالة السمعية في ذلك، فهو أنه تعالى وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب، فلو لم يجب لكان لا يحسن الوعد والوعيد بهما، وقد اعتمد هذه الطريقة أبو القاسم الموسوي[١]، وقال: لا يصح الاعتماد على غيرها في ذلك، ونحن قد ذكرنا أن الدلالة العقلية في هذا الباب كالدلالة السمعية في إمكان الاعتماد عليها)[٢].

ويقول القاضي عبد الجبار أيضا: (فإن قيل: أو يحسن من الله تعالى أن يسقط ما يستحقه الكافر والفاسق من العقوبة أم كيف القول فيه؟ قلنا قد اختلف العلماء في ذلك: فمن مذهبنا أنه يحسن من الله تعالى أن يعفو عن العصاة وأن لا يعاقبهم... وقال البغداديون: إن ذلك لا يحسن من الله تعالى إسقاطه، بل يجب عليه أن يعاقب المستحق للعقوبة لا محالة ... إلى أن قال: فمن جملة ما يمكن الاستدلال به على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النِّسَاء: ١٤]، فالله تعالى أخبر أن العصاة يعذبون بالنار ويخلدون فيها والعاصي اسم يتناول الفاسق والكافر جميعا فيجب حمله عليهما، لأنه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبينه، فلما لم يبينه دل على ما ذكرناه)[٣].

---

(١) ولد «أبو القاسم» الموسوي الخوئي منتصف شهر رجب سنة ١٣١٧هـ في مدينة خوي التابعة لمحافظة آذربايجان الغربية، في وسط أسرة علمائية، يرجع نسبها الى موسى الكاظم والده علي أكبر الخوئي من العلماء المبرزين ومن تلاميذ عبد الله المامقاني في النجف الأشرف فهو جعفر بن الحسين بن قاسم الموسوي أنظر الأعلام ج٢/١٢٤.

(٢) شرح الأصول الخمسة ٦٢١.

(٣) نفس المرجع ص ٦٤٤: ٦٥٧. وانظر من ص ٦٦٦، ٧١٢.

إذن فمنطلق المعتزلة في تلك المسألة مبني على أصل مذهبهم في الوعد والوعيد وكذا مرتكب الكبيرة، وعليه فالعصاة كفارا أو فساقا مخلدون في النار لا يجوز العفو عنهم.

وقد استدل المعتزلة على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هُود : ١٠٥ - ١٠٨].

ووجه استدلالهم بتلك الآية يوضحه القاضي عبد الجبار فيقول:(ربما قيل في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، أليس ذلك يدل على انقطاع العذاب من حيث وقته بدوام السموات والأرض اللذين يفنيان وأنتم تقولون بالخلود فكيف يصح ذلك؟ وجوابنا أن للنار سماء وأرضا وكذلك الجنة ولا يفنيان فهذا هو المراد، وقد قيل أن المراد بذلك تبعيد خروجهم فعلقه تعالي بما يبعد في العقول زواله علي مذهب العرب في مثل قول الشاعر: إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب. وربما قيل في قوله تعالي ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ إن ذلك الاستثناء يدل علي انقطاع العقاب فكيف يصح ذلك مع قولكم بالخلود؟ وجوابنا أن المراد أوقات الموقف للمحاسبة قبل دخول النار وعلى هذا الوجه ذكر الله تعالى في السعداء مثل ما ذكره في الأشقياء فقال: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هُود : ١٠٥ - ١٠٨][1] .

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ط دار النهضة الحديثة بيروت .
=

ويقول الزمخشري[١] عند تفسيره لهذه الآية: (والشقي الذي وجبت له النار لإساءته، والسعيد الذي وجبت له الجنة لإحسانه. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧﴾ [هُود : ١٠٦ ١٠٧] ... ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ١٠٧﴾ [هُود : ١٠٧] ، فيه وجهان: أحدهما: أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد. والدليل على أن لها سموات وأرضاً قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إِبْرَاهِيم : ٤٨] **وقوله**: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ﴾ [الزُّمَر : ٧٤]؛ ولأنه لا بدّ لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم : إمّا سماء يخلقها الله، أو يظلهم العرش، وكل ما أظلك فهو سماء. والثاني أن يكون عبارة عن التأبيد ونفى الانقطاع . كقول العرب: ما دام تعار، وما أقام ثبير، وما لاح كوكب، وغير ذلك من كلمات التأبيد. فإن قلت : فما معنى الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ [هُود : ١٠٧]، وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في الأبد من غير استثناء ؟ قلت: هو استثناء من الخلود في عذاب النار، ومن الخلود في نعيم الجنة: وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده، بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار، وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم. وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعاً منهم، وهو رضوان الله، كما قال﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ

=

لبنان ص ١٨٤.

(١) محمود بن عمر الزمخشري، ت: ٥٣٨هـ. انظر: الأعلام، ج٧/ ص١٧٨.

طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التَّوْبَة : ٧٢]، ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو، فهو المراد بالاستثناء، والدليل عليه قوله : ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هُود : ١٠٨]، ومعنى قوله في مقابلته: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هُود : ١٠٧] أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب، كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له، فتأمّله فإنّ القرآن يفسر بعضه بعضاً، ولا يخدعنك عنه قول المجبرة[١]: إنّ المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة، فإنّ الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم، وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روي لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص(ت٤٣هـ)[٢] " ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد؛ وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً"[٣] وقد بلغني أن من الضلال من اغترّ بهذا الحديث، فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار. وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين، زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه، وتنبيهاً على أن نعقل عنه، ولئن صح هذا عن ابن العاص، فمعناه أنهم يخرجون من حرّ النار إلى برد الزمهرير فذلك خلوّ جهنم وصفق أبوابها،

(١) المجبرة هي فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام، وجوهر عقيدتها هو أنها تؤمن بأن الإنسان مسيّر وليس مخيير. مقالات الإسلاميين ج٢/ ص ٤٣٠ .

(٢) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، الصحابي الجليل (ت: ٤٣هـ). انظر: الأعلام ج٥/ ص ٧٩.

(٣) لحديث موقوف أخرجه البزار وقال الحاف في تخريجه ح ٢/ ٤٣١ ورجاله ثقات أخرجه ابن عدي في الكامل ج٥/٢٢١ والحديث الموقوف على ابن غمرو بن العاص عده الذهبي في الميزان ج٤/ ص ٤٨٥ وهو وإن وثقه قوم فقد ضعفه أخرون وقال ابن كثير في تفسيره ج٢/٥٦٧ .

وأقول : ما كان لابن عمرو في سيفيه، ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب(ت:٤٠هـ)[١] رضي الله عنه، ما يشغله عن تسيير هذا الحديث[٢]. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هُود: ١٠٨] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ ﴾ [هُود : ١٠٨] ..... ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هُود : ١٠٨] غير مقطوع، ولكنه ممتدّ إلى غير نهاية، كقوله: ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾ [فُصِّلَت : ٨] [٣].

والواضح مما سبق أن المعتزلة قد انتهوا إلى نتيجة مؤداها: أنه لا يجوز العفو عن الكفر، ولا خروج الكافرين من النار، كما لا يجيزون فناء الجنة والنار لا عقلا ولا سمعا، وقد دفعوا قول من خالفهم في ذلك كما مر آنفا، وسوف نذكر فيما يأتي مذهب أهل السنة والجماعة ليتضح لنا أوجه الاتفاق والاختلاف بينها وبين المعتزلة من جهة، وبينها وبين بعضهم البعض من جهة أخرى.

(١) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، الصحابي الجليل، (ت: ٤٠هـ) انظر: المرجع السابق ج:٤/ ص: ٢٩٥.

(٢) أخرجه البزار وفي الميزان للذهبي ج٤/ ٤٨٥.

(٣) تفسير الزمخشري ج ٢/ ٤٠٤: ٤٠٦.

المطلب الثالث

مذهب أهل السنة والجماعة في حكم جواز العفو عن الكفر

مذهب الأشاعرة في تلك المسألة

قبل أن نبدأ بتصوير مذهب الأشاعرة[١] لابد أن ننوه أولا إلى أن هذه مسألة خلافية بين جناحي أهل السنة والجماعة،

يقول ابن كمال باشا(ت٩٤٠ هـ)[٢] : (قال الماتريدي(ت)[٣] : العفو عن الكفر ليس بجائز عقلا، وقال الأشعري يجوز عقلا لا سمعا)[٤].

ويفصل ذلك ابن كمال باشا فيقول: (قال الماتريدي تخليد المؤمنين في النار وتخليد الكافرين في الجنة لا يجوز عقلا ولا سمعا، وعند الأشعري يجوز عقلا وأما سمعا فلا يجوز)[٥].

---

(١) لأشاعرة هي فرقة إسلامية تنتسب إلى الإمام الأشعري الذي خرج من مذهب الاعتزال بعد دراسة وتحليل عميق، ليؤسس مدرسته الجديدة.أنظر الفرق بين الفرق/ ص ٣١٢.

(٢)أحمد بن سايمان بن كمال باشا توفي سنة (٩٤٠هـ = ١٥٣٤م)أنظر لأعلام ج١/ص ١٣٣ .

(٣) أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتُريدي السمرقندي الأنصاري مؤسس فرقة الماتريدية. المقدمة بتحقيق مجدي با سلوم (١/ ٧٤) أنظر الأعلام ج١٩/٧.

(٤) مسائل الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية تأليف شمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا / ت سعيد فودة ط دار الفتح للنشر ص ٥٩ ، وأنظر في مقدمة الإشارة لمذهب أهل الحق لأبي اسحاق الشيرازي ت الجليند القاهرة ٢٠١٤م ص ٦٧، (أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية)) للغالي (ص: ٤١ – ٤٤)، والأعلا ج ع/١٩،

(٥) مسائل الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية تأليف شمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا / ت سعيد فودة ط دار الفتح للنشر ص٥٩ وانظر كتاب اللمع ص ١١٦: ١١٩.ط مكتبة الإيمان ت على عبد الباسط الطبعة الأولى =

والواضح أنه عند الإمام الأشعري يجوز عقلا العفو عن الكفر وأما سمعا فلا يجوز.

وقد استدل الإمام الرازي(ت٣١٣هـ)[١] على ما ذهب إليه الإمام الأشعري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هُود : ١٠٥ - ١٠٨].

فنجده يقول:(اعلم أنه تعالى حكم الآن على بعض أهل القيامة بأنه سعيدٌ، وعلى بعضهم بأنه شقيٌ، ومن حكم الله عليه بحكم وعلم منه ذلك الأمر امتنع كونه بخلافه، وإلا لزم أن يصير خبر الله تعالى كذباً وعلمه جاهلاً وذلك محال فثبت أن السعيد لا ينقلب شقياً وأن الشقي لا ينقلب سعيداً، وروي عن عمر(ت٢٣هـ)[٢] رضي الله عنه أنه قال: " لما نزل قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هُود : ١٠٥]، قلت يا رسول الله: فعلى ماذا نعمل على شيء قد فرغ منه، أم على شيء لم يفرغ منه؟ فقال: " على شيء قد فرغ منه يا عمر وجفت به الأقلام وجرت به الأقدار، ولكن كل

=

٢٠١٥م.

(١) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن الرازي، الأشعري الملقب بفخر الدين الرازي المولود(٥٤٤ـ ٦٠٦هـ) = (١١٥٠ـ ١٢١٠م) انظر الأعلام ج٦/ص٣١٣

(٢)أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيُّ الْقُرَشِيُّ، المُلقب بالفاروق، توفي (٢٣هـ =٦٤٤م) أنظر الأعلام ج٥/ص٤٥.

ميسر لما خلق له"[١]، وقالت المعتزلة: نقل عن الحسن **(ت ١١٠ هـ)** [٢] أنه أنه قال: فمنهم شقي بعمله وسعيد بعمله، قلنا: الدليل القاطع لا يدفع بهذه الروايات، وأيضاً فلا نزاع أنه إنما شقي بعمله وإنما سعد بعمله، ولكن لما كان ذلك العمل حاصلاً بقضاء الله وقدره كان الدليل الذي ذكرناه باقياً، قال ابن عباس**(ت ٦٨ هـ)** [٣] رضي الله عنهما: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هُود : ١٠٦] يريد ندامة ونفساً عالية وبكاء لا ينقطع وحزناً لا يندفع)[٤].

وبعد هذا الإجمال فصله بأن في المسألة آراء :

الرأي الأول: قال قوم إن عذاب الكفار منقطع ولها نهاية، واحتجوا بالقرآن والمعقول. أما القرآن فآيات منها هذه الآية، والاستدلال بها من وجهين: الأول: أنه تعالى قال: ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هُود : ١٠٨] دل هذا النص على أن مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات والأرض، ثم توافقنا على أن مدة بقاء السموات والأرض متناهية فلزم أن تكون مدة عقاب الكفار منقطعة. الثاني: أن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هُود : ١٠٨] استثناء من مدة عقابهم وذلك يدل على زوال ذلك العذاب في وقت هذا الاستثناء، ومما تمسكوا به أيضاً قوله تعالى في سورة عم يتساءلون:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٩١) واللفظ له، ومسلم (٢٦٤٨) باختلاف يسير. أخرجه أحمد (١٤١١٦)، وأبو عوانة (١١٦٠٠)، وابن حبان (٣٩١٩) جميعهم باختلاف يسير.

(٢) الحسن بن يسار البصري (٢١ – ١١٠ هـ)(٦٤٢. ٧٢٨م) أنالأعلام ج ٢/ ٢٢٦،

(٣)عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي (٣ ق هـ / ٦١٩م – ٦٨ هـ / ٦٨٧م) هو صحابي محدث وفقيه وحافظ ومُفسِّر،أنظر الأعلام ج٤/ ص٩٥.

(٤) تفسير الإمام الرازي ج ٩/ ص ٦٢.وأنظر الجامع للقرطبي ط دار الكتب العلمية الأولى ١٩٨٨م ج٥/٦٤ : ٦٩، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامي السلامة د دار طيبة للتوزيع ط٢ ١٩٩٩م ج٤/٣٥١: ٣٥٣.

﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴾ [النَّبَإ : ٢٣] بين تعالى أن لبثهم في ذلك العذاب لا يكون إلا أحقاباً معدودة. أبو زكريا ، يحيى بن زياد بن عبد الله

وأما العقل فوجهان: الأول: أن معصية الكافر متناهية ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لا نهاية له ظلم وأنه لا يجوز. الثاني: أن ذلك العقاب ضرر خال عن النفع فيكون قبيحاً بيان خلوه عن النفع أن ذلك النفع لا يرجع إلى الله تعالى لكونه متعالياً عن النفع والضرر ولا إلى ذلك المعاقب، لأنه في حقه ضرر محض ولا إلى غيره؛ لأن أهل الجنة مشغولون بلذاتهم فلا فائدة لهم في الالتذاذ بالعذاب الدائم في حق غيرهم، فثبت أن ذلك العذاب ضرر خال عن جميع جهات النفع فوجب أن لا يجوز.

الرأي الثاني: رأي الجمهور: وأما الجمهور الأعظم من الأمة، فقد اتفقوا على أن عذاب الكافر دائم وعند هذا احتاجوا إلى الجواب عن التمسك بهذه الآية. أما قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [هُود : ١٠٧]، فذكروا عنه جوابين: الأول: قالوا المراد سموات الآخرة وأرضها. قالوا والدليل على أن في الآخرة سماء وأرضاً قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ [هُود : ١٠٧] ﴿ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ ﴾ [الزُّمَر : ٧٤]، وأيضاً لابد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم، وذلك هو الأرض والسموات. والوجه الثاني: في الجواب قالوا إن العرب يعبرون عن الدوام والأبد بقولهم ما دامت السموات والأرض، ونظيره أيضاً قولهم: ما اختلف الليل والنهار، وما طما البحر، وما أقام الجبل، وأنه تعالى خاطب العرب على عرفهم في كلامهم فلما ذكروا هذه الأشياء بناء على اعتقادهم أنها باقية أبد الآباد، علمنا أن هذه الألفاظ بحسب عرفهم تفيد الأبد والدوام الخالي عن الانقطاع.

وبذا نجد اتفاق الجمهور من الأشاعرة على أن عذاب الكافر دائم لا ينقطع سمعا لا عقلا، وقد ردوا على شبهة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هُود : ١٠٧] كما مر آنفا.

وقد رد الإمام الرازي على استدلالهم بالآية السابقة فقال: (واعلم أن الجواب الحق عندي في هذا الباب شيء آخر، وهو أن المعهود من الآية أنه متى كانت السموات والأرض دائمتين، كان كونهم في النار باقياً فهذا يقتضي أن كلما حصل الشرط حصل المشروط، ولا يقتضي أنه إذا عدم الشرط يعدم المشروط: ألا ترى أنا نقول: إن كان هذا إنساناً فهو حيوان. فإن قلنا: لكنه إنسان فإنه ينتج أنه حيوان، أما إذا قلنا لكنه ليس بإنسان لم ينتج أنه ليس بحيوان؛ لأنه ثبت في علم المنطق أن استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيئاً، فكذا ههنا إذا قلنا متى دامت السموات دام عقابهم، فإذا قلنا لكن السموات دائمة لزم أن يكون عقابهم حاصلاً، أما إذا قلنا لكنه ما بقيت السموات لم يلزم عدم دوام عقابهم، فإن قالوا: فإذا كان العقاب حاصلاً سواء بقيت السموات أو لم تبق لم يبق لهذا التشبيه فائدة؟ قلنا بل فيه أعظم الفوائد وهو أنه يدل على نفاذ ذلك العذاب دهراً داهراً، وزماناً لا يحيط العقل بطوله وامتداده، فأما أنه هل يحصل له آخر أم لا؟ فذلك يستفاد من دلائل أخر، وهذا الجواب الذي قررته جواب حق ولكنه إنما يفهمه إنسان ألف شيئاً من المعقولات)[١].

مناقشة الأشاعرة للشبهة الثانية للقائلين بانقطاع عذاب الكفار وأن له نهاية.

(١) تفسير الإمام الرازي ج ٩/ ص ٦٦. وأنظر الجامع للقرطبي ط دار الكتب العلمية الأولى ١٩٨٨م ج٦٤/٥ : ٦٩، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامي السلامة د دار طيبة للتوزيع ط٢ ١٩٩٩م ج٣٥١/٤: ٣٥٣ .وانظر الإرشاد للجويني ص ٣٨٣.

وبعد أن ذكر الرازي رد الأشاعرة على ما زعمه الفريق الأول في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [هُود : ١٠٧] ذكر ردهم على شبهتهم الثانية المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ﴾ [هُود : ١٠٨]، والمحصورة في أداة الاستثناء في تلك الآية، فيقول: (وأما الشبهة الثانية: وهي التمسك بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ﴾ [هُود : ١٠٨] فقد ذكروا فيه أنواعاً من الأجوبة: الوجه الأول: في الجواب وهو الذي ذكره ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)[١] وابن الأنباري(ت ٣٢٨هـ)[٢] ، والفراء(ت ٢٠٧هـ)[٣] قالوا هذا استثناء استثناه الله تعالى ولا يفعله ألبتة، الوجه الثاني: في الجواب أن يقال: إن كلمة ﴿إِلَّا﴾ [هُود : ١٠٧] ههنا وردت بمعنى: سوى. والمعنى سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود الدائم فذكر أولاً في خلودهم ما ليس عند العرب أطول منه، ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخر له بقوله: { إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ } المعنى: إلا ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها، الوجه الثالث في الجواب: وهو أن المراد من هذا الاستثناء زمان وقوفهم في الموقف فكأنه تعالى قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ﴾ [هُود : ١٠٦] إلا وقت وقوفهم للمحاسبة فإنهم في ذلك الوقت لا يكونون في النار، وقال أبو بكر الأصم [٤]المراد: إلا ما شاء ربك وهو حال كونهم في القبر، أو المراد إلا ما شاء

---

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِيُّ (٢١٣– ١٥ رجب ٢٧٦ هـ / ٨٢٨ – ١٣ نوفمبر ٨٨٩ م)أديب لغوي فقيه محدث مؤرخ مسلم.أنظر الأعلام ح١٣٧/٤.

(٢)ابن الأنباري هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار، وُلد سنة ٢٧٢ هـ، ويُعتبر أحد أعلام اللغة والنحو في زمانه وألف مؤلفات مرموقة . أنظر ج٣٣٤/٦.

(٣) يحي بن زياد الفراء الأعلام ج١٤٥/٨.

(٤)عبد الرحمن بن كيسان الأصمّ (٢٢٥ هـ / ٨١٦م – ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م، البصرة) فقيه ومفسر ومتكلم معتزلي، أنظر الأعلام ج٣/ ص٢٢٣.

ربك حال عمرهم في الدنيا وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة، والمعنى: خالدين فيها بمقدار مكثهم في الدنيا أو في البرزخ أو مقدار وقوفهم للحساب ثم يصيرون إلى النار، الوجه الرابع: في الجواب قالوا: الاستثناء يرجع إلى قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هُود : ١٠٦] وتقريره أن نقول: قوله: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ [هُود ١٠٦: ١٠٧] يفيد حصول الزفير والشهيق مع الخلود فإذا دخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل وقت لا يحصل فيه هذا المجموع لكنه ثبت في المعقولات أنه كما ينتفي المجموع بانتفاء جميع أجزائه فكذلك ينتفي بانتفاء فرد واحد من أجزائه فإذا انتهوا آخر الأمر إلى أن يصيروا ساكنين هامدين خامدين فحينئذ لم يبق لهم زفير وشهيق فانتفى أحد أجزاء ذلك المجموع فحينئذ يصح ذلك الاستثناء من غير حاجة إلى الحكم بانقطاع كونهم في النار، الوجه الخامس في الجواب: أن يحمل هذا الاستثناء على أن أهل العذاب لا يكونون أبداً في النار، بل قد ينقلون إلى البرد والزمهرير وسائر أنواع العذاب وذلك يكفي في صحة هذا الاستثناء، الوجه السادس في الجواب قال قوم: هذا الاستثناء يفيد إخراج أهل التوحيد من النار؛ لأن قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ﴾ [هُود : ١٠٦] يفيد أن جملة الأشقياء محكوم عليهم بهذا الحكم، ثم قوله: ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هُود : ١٠٨] يوجب أن لا يبقى ذلك الحكم على ذلك المجموع. ويكفي في زوال حكم الخلود عن المجموع زواله عن بعضهم، فوجب أن لا يبقى حكم الخلود لبعض الأشقياء، ولما ثبت أن الخلود واجب للكفار وجب أن يقال: الذين زال حكم الخلود عنهم هم الفساق من أهل الصلاة، وهذا كلام قوي في هذا الباب. فإن قيل: فهذا الوجه إنما يتعين إذا فسدت سائر الوجوه التي ذكرتموها، فما الدليل على فسادها، وأيضاً فمثل هذا الاستثناء مذكور في جانب السعداء، فإنه تعالى قال: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هُود : ١٠٨] ، قلنا: إنا بهذا الوجه بينا أن هذه الآية لا تدل على

انقطاع وعيد الكفار، ثم إذا أردنا الاستدلال بهذه الآية على صحة قولنا في أنه تعالى يخرج الفساق من أهل الصلاة من النار. أجمعت الأمة على أنه يمتنع أن يقال: إن أحداً يدخل الجنة ثم يخرج منها إلى النار، فلأجل هذا الإجماع افتقرنا فيه إلى حمل ذلك الاستثناء على أحد تلك التأويلات. أما في هذه الآية لم يحصل هذا الإجماع، فوجب إجراؤها على ظاهرها فهذا تمام الكلام في هذه الآية. واعلم أنه تعالى لما ذكر هذا الاستثناء قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هُود : ١٠٧] وهذا يحسن انطباقه على هذه الآية إذا حملنا الاستثناء على إخراج الفساق من النار[١]، كأنه تعالى يقول: أظهرت القهر والقدرة ثم أظهرت المغفرة والرحمة لأني فعال لما أريد وليس عليَّ حكم ألبتة، وقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هُود : ١٠٨] فيه مسألتان: المسألة الأولى: جذه يجذه جذاً إذا قطعه وجذ الله دابرهم، فقوله: ﴿ غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هُود : ١٠٨] أي غير مقطوع، ونظيره قوله تعالى في صفة نعيم الجنة ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الوَاقِعَة : ٣٣]. المسألة الثانية: اعلم أنه تعالى لما صرح في هذه الآية أنه ليس المراد من هذا الاستثناء كون هذه الحالة منقطعة، فلما خص هذا الموضع بهذا البيان ولم يذكر ذلك في جانب الأشقياء دل ذلك على أن المراد من ذلك الاستثناء هو الانقطاع، وبذا نكون قد انتهينا من ذكر مذهب الأشاعرة في تلك المسألة[٢].

(١) حاشية الدسوقي على أم البراهين للسنوسي الناشر مكتبة المشهد الحسيني ص ١٤٥،

(٢) تفسير الرازي ج٦٩/٩. وأنظر الجامع للقرطبي ط دار الكتب العلمية الأولى ١٩٨٨م ج٦٤/٥ : ٦٩، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامي السلامة د دار طيبة للتوزيع ط٢ ١٩٩٩م ج٣٥١/٤: ٣٥٣ .

مذهب الماتريدية في تلك المسألة

والذي انتهى إليه الأشاعرة في تلك المسألة: أن العفو عن الكفر يجوز عقلا، وأما سمعا فلا يجوز، بينما يرى الماتريدية أن ذلك لا يجوز عقلا ولا سمعا؛ بل فيه مخالفة للحكمة، يقول الإمام أبو البركات النسفي: (العفو عن الكفر لا يجوز عقلا خلافا للأشعري، وتخليد المؤمنين في النار وتخليد الكافرين في الجنة يجوز عقلا عند الأشعرية، إلا أن السمع ورد بخلافه)[١]،

ويقول الإمام الماتريدي(ت ٣٣٣ هـ) أيضا في ذلك: (أن العفو عن الكافر عفو في غير موضع العفو؛ لأنه منكر المنعم ويرى ذلك حقا، فيكون في ذلك تضييع العفو وإبطال النعمة، ولا كذلك أمر سائر المآثم، بل يعرف صاحبها المنعم، فله أعظم الموضع، ولإكرامه أبين المحل، فجائز المغفرة له والعفو عنه في الحكمة، وبالله المعونة)[٢]،[٣] وسوف نستعرض مذهبهم مفصلا في ثنايا عرضنا لمذهب الإمام النسفي منعا للتكرار[٤] .

---

(١)شرح العمدة ٢٧٨.

(٢) التوحيد للماتريدي ٣٦٢.

(٣) تبصرة الأدلة في أصول الدين للنسفي/ج٢/ص٧٩٢ت كلود سلامة الطبعة ١٩٩٣م وأنظر التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي ت جيب الله حسن ط المحمدية ط الأولى ص ٣٥٦: ٣٧٣، وأنظر أصول الدين للبزدوي ت هانز بيتر ط دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولي ١٩٥٢ص١٣١ : ١٤٢. ١٦٥ ١٧٣،١٦٦، ٢٠٤ وأنظر كتاب التسديد في شرح التمهيد للسغناقي ت شمس الدين كريم وسرك تاد جيايف نور مبارك ص١٨٦، ١٩٥،

(٤) تبصرة الأدلة في أصول الدين للنسفي/ج٢/ص٧٩٢ت كلود سلامة الطبعة ١٩٩٣م وأنظر التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي ت جيب الله حسن ط المحمدية ط الأولى ص ٣٥٦: ٣٧٣

المبحث الثاني

حكم جواز العفو عن الكفر وخروج الكافرين من النار عند الإمام النسفي

عند تصوير مذهب الإمام النسفي في هذا الموضوع نجده قد بدأ بتصوير مذهب الأشاعرة، مارا بأدلتهم، مختتما بمناقشتهم فيما ذكروه، وذلك في عدة مطالب:

المطلب الأول

مذهب الأشاعرة في حكم العفو عن الكفرمن خلال فكر الإمام النسفي

استهل الإمام أبو البركات النسفي رأيه في تلك المسألة بتصوير مذهب الأشاعرة فذكر أنهم: أجازوا العفو عن الكفر عقلا، حتى قالوا: بجواز تخليد المؤمنين في النار، والكافرين في الجنة، عقلا لا سمعا(١).

وفي ذلك يقول الإمام النسفي:(العفو عن الكفر لا يجوز عقلا، خلافا للأشعري، وتخليد المؤمنين في النار، وتخليد الكافرين في الجنة يجوز عقلا عند الأشعرية إلا أن السمع ورد بخلافه)(٢) .

وقد أشار الإمام النسفي إلى أدلة الأشاعرة على مذهبهم في جواز العفو عن الكفر، وخروج الكافرين من النار عقلا، بدليل لغوي مبناه على العقل لا السمع، وهو أن الله تعالى عندما يعفو عن الكفر، ويخرج الكافرين من النار؛ فهو متصرف في ملكه، وعليه فلا يكون ظالما حال العفو عن

(١) انظر كتاب اللمع ص ١١٦: ١١٩.ط مكتبة الإيمان ت على عبد الباسط الطبعة الأولى ٢٠١٥م

(٢) شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد لأبي البركات النسفي تحقيق د عبدالله إسماعيل ط الثانية ٢٠١٠م الدار للطباعة ص ٢٧٨.

الكفر، وخروج الكافرين من النار؛ لأن الظلم المعتبر لغة التصرف في ملك الغير، أما من تصرف في ملكه فلا يكون ظالما.

وفي ذلك يشير الإمام أبو البركات النسفي إلى أدلة الأشاعرة على مذهبهم فيقول: (لهم: أنه تصرف في ملكه، فلا يكون ظلما، إذ الظلم تصرف في ملك الغير)[١] .

لم يرتض الإمام أبو البركات النسفي مذهب الأشاعرة فناقشهم ؛ ليسلم مذهبه في تلك المسألة: وهو أنه لا يجوز عقلا ولا شرعا العفو عن الكفر، والكافرين، وذلك بخروجهم من النار، وعدم تخليدهم فيها، كما أنه منع تخليد المؤمن في النار فأوضح كل ذلك فقال: (العفو عن الكفر لا يجوز عقلا خلافا للأشعري، وتخليد المؤمنين في النار وتخليد الكافرين في الجنة يجوز عقلا عند الأشعرية، إلا أن السمع ورد بخلافه)[٢]، وبعد أن أشار الإمام أبو البركات إلى مذهبه في تلك المسألة ذكر عدة أدلة لإبطال مذهب من أجاز العفو عن الكفر مطلقا أو مقيدا فقال:

١. لو صح العفو عن الكفر لخالف ذلك السمع والعقل، يقول الإمام النسفي: أن مذهب الأشاعرة فيه خلاف لما ورد به السمع والعقل حيث جاء في السمع أن الله تعالى لا يعفو عن الكفر؛ وعليه فيخلد الكافر في النار، والمؤمن في الجنة وأيضا لا يجوز ذلك عقلا لقوله تعالى ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾ [ص : ٢٨]، وقد وجه الإمام النسفي تلك الآية في مدارك التنزيل وحقائق التأويل فقال:(أم: منقطعة، ومعنى الاستفهام فيها الإنكار، والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من

(١) نفس المرجع ٢٧٨ .

(٢) شرح العمدة ٢٧٨ .

أصلح وأفسد واتقى وفجر، ومن سوى بينهم كان سفيها، ولم يكن حكيما)[١]. ويشير إلى هذا الدليل الإمام النسفي فيقول بعد أن ذكر مذهبهم : (العفو عن الكفر لا يجوز عقلا خلافا للأشعري، وتخليد المؤمن في النار وتخليد الكافر في الجنة يجوز عقلا عند الأشعرية، إلا أن السمع ورد بخلافه)[٢].

٢ . مذهبهم فيه مخالفة للحكمة الإلهية. حيث يسوي بين المحسن والمسيء، والمفسد والصالح، ومن يعمل الصالحات والسيئات، وبين المؤمن والكافر، وهذا فيه مخالفة للحكمة الإلهية من الخلق والتكليف. يشير الإمام أبو البركات إلى هذا الدليل فيقول: (وعندنا لا يجوز أن يخلد الكافر في الجنة، والمؤمنين في النار؛ لأن الحكمة تقتضي التفرقة بين المسيء والمحسن، ولهذا استبعد الله تعالي التسوية بينهما بقوله: : ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص : ٢٨] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجَاثِيَة : ٢١] (﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القَلَم: ٣٥ - ٣٦]. ويقول الإمام النسفي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ﴾ [الجَاثِيَة : ٢١] أم منقطعة، ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان، ﴿ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الجَاثِيَة : ٢١] اكتسبوا المعاصي والكفر ومنه الجوارح، وفلان جارحة أهله أي: كاسبهم، ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ ﴾ [الجَاثِيَة : ٢١] أن نصيرهم، والمعنى إنكار أن يستوي المسيئون

(١) تفسير النسفي ص ١٠٢٠ ط دار المعرفة بيروت لبنان.

(٢) شرح العمدة ٢٧٨ .

والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا، لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على اقتراف السيئات، ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرامة، وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة، وقيل: معناه: إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة في الرزق والصحة، وعن تميم الداري رضي الله عنه[١] أنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد إلى الصباح، وعن الفضيل[٢] أنه بلغها فجعل يرددها ويبكي يا فضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجَاثِيَة : ٢١] بئس ما يقضون إذا حسبوا أنهم كالمؤمنين فليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقعد على مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلي المؤمنين ونخزي الكافرين)[٣]. ويقول الإمام النسفي في آية أخرى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القَلَم : ٣٥] استفهام إنكاري على قولهم لو كان ما يقول محمد حقا، فنحن نعطى في الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما في الدنيا، فقيل لهم: أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين، ثم قيل لهم على طريق الالتفات: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القَلَم : ٣٦] هذا الحكم الأعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصي كأن أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم)[٤].

(١) تميم بن أوس صحابي جليل مات عام ٤٠هـ أنظر الأعلام ج٢/ ٨٧، تهذيب ابن عساكر ج٣/ ٣٤٤.

(٢) الفضيل ين عياض شيخ الحرم المكي. أنظر الأعلام ج١٥٣/٥، الجواهر المضية ج١/ ٤٠٩ تذكرة الحفاظ ج٢٢٥/١.صفة الصفوة ج١٣٤/٢.

(٣) تفسير النسفي ص ١١١٩ .

(٤) تفسير النسفي ص ١٢٦٩.

٣. عدم التفرقة بين الفريقين في الدنيا، وهذا لا يجوز في الآخرة. فمن أجاز العفو عن الكفر، وعدم تخليد الكافرين في النار؛ لا يفرق بين المؤمن والكافر، وحيث لا فرق بينهما في الدنيا فالحكمة تقتضي التفرقة بينهما في الآخرة. وفي ذلك يقول الإمام النسفي: (ثم لا تفرقة بين الفريقين في الدنيا، فوجب أن تثبت التفرقة بينهما في العقبى)[١].

٤ـ فيه مخالفة العدل الإلهي وذا ظلم. العفو عن الكفر وتخليد المؤمن في النار وتخليد الكافر في الجنة فيه مخالفة للعدل الإلهي؛ وعليه فيكون ظلما؛ لأنه وضع الشيء في غير موضعه وذلك يستحيل من الله تعالى وما ذكره الأشاعرة أنه متصرف في ملكه، فالتصرف في ملكه إنما يجوز إذا كان على وجه الحكمة، فأما التصرف على خلاف قضية الحكمة يكون سفها.

وفي ذلك يقول الإمام النسفي:(وتخليد المؤمن في النار وتخليد الكافر في الجنة ظلم؛ لأنه وضع الشيء في غير موضوعه، والإساءة في حق المحسن، والإنعام والإكرام في حق المسيء، وضع الشيء في غير موضوعه فكان ظلما، وذا يستحيل من الله تعالى)[٢].

٥ـ استدلال الأشاعرة في غير موضعه؛ لأنه يكافئ المسيء ويعاقب المحسن.

وما استدل به الأشاعرة استدلال في غير موضعه من أنه تصرف في ملكه فمردود عليهم من أن الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه إذ التصرف في ملكه إنما يجوز إذا كان على وجه الحكمة فأما التصرف على خلاف قضية الحكمة يكون سفها.

---

(١) شرح العمدة ٢٧٩.

(٢) شرح العمدة ٢٧٩.

وفي ذلك يقول: (والتصرف في ملكه إنما يجوز إذا كان على وجه الحكمة، فأما التصرف على خلاف قضية الحكمة يكون سفها)[١].

وبعد أن عول الإمام أبو البركات النسفي على مذهب الأشاعرة من حيث تصويره وسرد أدلته ومناقشته، انتهى إلى أن الأشاعرة قالوا: بجواز العفو عن الكفر عقلا لا سمعا، بخلاف مذهب الماتريدية وهذا اتضح لنا من مذهب الإمام النسفي في حكم جواز العفو عن الكفر وخروج الكافرين من النار، أنه لا يجوز عقلا ولا شرعا؛ لأن فيه مخالفة لقضية الحكمة التي تفرق بين الكافر والمؤمن فالتسوية بينهما ظلم ومخالفة للحكمة، وكذا أيضا لا يجوز تخليد المؤمن في النار، ولا الكافر في الجنة كما يرى البعض، وقد استدل على ذلك، بأن السمع قد ورد بعدم التسوية بين الكافر والمؤمن ومن أجاز ذلك فقد سوى بينهما وهذا فيه مخالفة للحكمة التي تمنع التسوية بين المسيء والمحسن مصداقا لقول الله تعالى: تعالى﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص : ٢٨] **وقوله** ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجَاثِيَة : ٢١] ، ووجه الاستدلال بتلك الآيات أن الحق تعالى أستبعد التسوية بينهما ومن سوى بينهما خالف الحكمة الإلهية، فيترتب على ذلك عدم التفرقة بين الفريقين في الدنيا فوجب أن تثبت التفرقة بينهم في الآخرة، كما يترتب على العفو عن الكفر وتخليد المؤمن في النار، وتخليد الكافر في الجنة مخالفة للعدل الإلهي؛ وعليه فيكون ظلما؛ لأنه وضع الشيء في غير موضعه

(١) شرح العمدة ٢٧٩.

وذلك يستحيل من الله تعالي فالتصرف في ملكه إنما يجوز إذا كان على وجه الحكمة فأما التصرف على خلاف قضية الحكمة يكون سفها[١]. .

المطلب الثاني

الفرق بين الكفر وما دونه من سائر الذنوب عند الإمام النسفي

فرق الإمام النسفي بين الكفر وما دونه من الذنوب في جواز العفو عنها وامتناعه فيه؛ لذا فرق الإمام النسفي بينه وبينها فنراه يذكر :

١ـ الكفر مذهب يعتقد، والمذاهب تعتقد للأبد، وعلى ذلك تكون عقوبته أبدية، أما ما دون الكفر من صغائر الذنوب فليست بمذهب؛ لأنها لا تفعل للأبد بل عند غلبة الشهوات، وعلى ذلك تكون عقوبتها منقطعة وليست أبدية.

يصور هذا الإمام أبو البركات النسفي فيذكر أن ذلك المروي والمرتضى عند أصحابه، وخاصة الإمام الماتريدي فيقول: (والفرق لأصحابنا بين الكفر، وبين ما دونه من الذنوب في جواز العفو عما دون الكفر، وامتناعه فيه. وما ذكر الشيخ الإمام أبو منصور رحمه الله في التوحيد: أن الكفر مذهب يعتقد، والمذاهب تعتقد للأبد؛ فعلى ذلك عقوبته، وسائر الكبائر لا يفعل للأبد بل في الأوقات عند غلبة الشهوات فعلى ذلك عقوبتها)[٢].

٢. الكفر قبيح بذاته لا يحتمل الإطلاق ورفع الحرمة عنه فعلى ذلك عقوبته لا تحتمل الارتفاع والعفو عنه في الحكمة، وأما سائر المآثم فيجوز عقلا رفع الحرمة عنه فكذلك عقوبتها.

---

(١) شرح العمدة ٢٧٩.

(٢) شرح العمدة ٢٧٩/ ٢٨٠

يصور الفرق الثاني الإمام أبو البركات النسفي فيقول: (ولأن الكفر قبيح بعينه لا يحتمل الإطلاق، ورفع الحرمة عنه، فعلى ذلك عقوبته لا تحتمل الارتفاع، والعفو عنه في الحكمة، وسائر المآثم يجوز رفع الحرمة عنها في العقل؛ فكذا عقوبته)[١].

٣. العفو عن الكفر عفو في غير موضعه؛ لأن الكافر منكر للمنعم، ويرى ذلك حقا، وليس كذلك سائر المآثم فصاحبها مقر بالمنعم ومعترف بنعمه عليه فيجوز العفو عنه في الحكمة .

وفي ذلك يقول الإمام أبو البركات النسفي: (ولأن العفو عن الكفر عفو في غير موضع العفو؛ لأنه منكر المنعم، ويرى ذلك حقا، ولا كذلك سائر المآثم فصاحبها يعرف المنعم، فيجوز العفو عنه في الحكمة)[٢].

٤- صاحب الكبيرة قد أنعم وأحسن الله عليه حين أرتكبها؛ وذلك بأن جعل حقه في قلبه في الدارين وهو الإيمان بالله فلا يحتمل أن تضيع منته ونعمته عليه بهفوة أرتكبها، وليس كذلك الكفر.

يصور الإمام أبو البركات النسفي ذلك فيقول: (ولأن الله تعالى قد أحسن إلى مرتكب الكبيرة في الوقت الذي ارتكبها، بأن جعل حقه أعظم في قلبه من الدارين، وهو إحسان منه إليه، وإنعام منه لديه، فلا يحتمل أن تضيع منته، ويغير نعمته بهفوة أو بجفوة يعلم أن قدرها لا يبلغ جزءا من إنعامه لديه وإحسانه إليه، وهو القائل ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأَنفَال : ٥٣][٣].

---

(١) شرح العمدة ٢٧٩/ ٢٨٠

(٢) شرح العمدة ٢٨٠.

(٣) شرج العمدة ٢٨٠ تفسير النسفي ص ٤١٧.

يقول الإمام أبو البركات في تفسير تلك الآية: (بسبب أن الله لم يصح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال، نعم لم يكن لآل فرعون ومشركي مكة حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة، لكن لما تغيرت الحال المرضية إلى المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة إلى أسخط منها، وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفروة عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات فكذبوه وسعوا في إراقة دمه غيروا حالهم إلى أسوء مما كانت، فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب)[١]

٥- إن صاحب الكبيرة مكتسب للطاعات وقت العصيان، وذلك لخوف عقابه، ورجاء رحمته، وذلك خيرات لو قوبل بها ما أرتكب بغلبة شهوة، ولكن لترجح ما كان منه من خير على ما كان من شر، فلا يجوز أن يحرم نفع الخير ، ويوجب له عقوبة الشر، وليس كذلك لمن يكفر لا يخاف عقاب أو يرجو رحمه .

ويصور الإمام النسفي ذلك فيقول: (ولأنه مكتسب للطاعات في وقت العصيان من خوف عقابه، ورجاء رحمته، والثقة بكرمه، وذلك خيرات لو قوبل بها ما ارتكب بغلبة شهوة لترجح ما كان منه من خير على ما كان من شر، فلا يجوز أن يحرم نفع الخير، ويوجب له عقوبة الشر)[٢].

٦ – ليس مع من يكفر بالله معني يستحق اسم الخير عليه لأنه يكذبه، وينكر أمره، ونهيه فلا يحتمل أن يكون له رجاء رحمته، وخشية عقوبته والثقة بكرمه؛ لذا لا يجوز العفو عنه، وهذا بعكس مرتكب الكبائر، فله كل ذلك، فيجوز العفو عنه في الحكمة.

(١) تفسير النسفي٤١٧.

(٢) شرح العمدة ص ٢٨٠.

ويصور الإمام النسفي ذلك فيقول: (وليس مع من يكفر بالله معنى يستحق اسم الخير؛ لأنه يكذبه، وينكر أمره ونهيه، فلا يحتمل أن يكون له رجاء رحمته، وخشية عقوبته، والثقة بكرمه) [١].

المطلب الثالث

الجذور الفكرية والفرق بين الكفر وما دونه من الذنوب لمذهب الإمام النسفي

استقى الإمام النسفي أصول مذهبه وكذا الفرق بين الكفر وما دونه من سائر الذنوب من شيخه أبي منصور الماتريدي حين قال: (ثم نذكر الفصل بين ما يخلد له العذاب ولا يخلد من طريق الحكمة وذلك يخرج على وجهين: أحدهما من طريق الاعتبار بتفاوت الذنوب في أنفسها، وقد وعد الله أن لا يجزي إلا مثله، وكذلك حق الحكمة؛ إذ التعذيب يكون بما يوجبه الحكمة لا بما يختار؛ إذ ليس هو نوع ما يختار وبخاصة ممن لا يضره الخلاف، ثم هو الموصوف بالعفو والرحمة، ولهذا ما أوجب المغفرة والعفو عن كثير من الذنوب. ثم يخرج ذا على وجوه:

أحدها: أنه ما من أحد يعصي الله بنوع من الكبائر دون الشرك إلا وهو لوقت العصيان مكتسب الطاعة من خوف عقاب، والفزع عن مقته، ورجاء رحمته، والثقة بكرمه، وذلك عن خيرات لو قوبل بها ما ارتكب من الخلاف بغلبة شهوة وقهر غضب أو نحو ذلك ليرجح ما كان منه من خير على ما كان من شر فلا يجوز أن يحرم نفع الخير ويوجب له عقوبة الشر، ومن ذلك فعله موصوف بالجود والكرم ولا كذلك معناهما، ولا قوة إلا بالله. وليس مع من يكفر بالله ويشرك به معنى يستحق اسم الحسنة والخير؛ لأنه

(١)شرح العمدة ص ٢٨٠. تفسير النسفي ص ٤١٧.

يكذبه وينكر أمره ونهيه فلا يحتمل أن يكون له الرجا، وفي دوام عذابه مضادة معنى الكرم، ولا قوة إلا بالله[١].

والثاني: أن الله جل ثناؤه وعد أن لا يجزي إلا مثلها، ومثل الشرك الذي في العقل أكبر من كل ذنب، مع ما لا حسنة يكون معه ومع غيره، إنما هو الخلود في النار. إذ معلوم أن الكافر يرضى بأضعاف ما يعذب مع النجاة يوما من الدهر، فيبين ذلك أن تمام جزائه الخلود، فإذا كان لغيره مثله فيجزى غيره أكثر من مثل الفعل، وذلك جور في حكمته، والله يجل عنه، فهذا مع ما كان مرتكب ما دونه حسنات، وليس معه، ولا قوة إلا بالله. وأيضا أن الحدود في الدنيا جعلن كفارات لما يرتكب من الذنوب، فلو لم يكن فيها تكفير كانت تكون زيادات على عقوبات الكفر، ومحال أن يزداد عقوبة ما دون الكفر، فثبت أنها كفارات، ولا كفارة للكفر في الدنيا، ثبت أن لا يحتمل في العقوبة فجعلت عقوبته أبدية وعقوبة غيره بحد، فكذلك العقوبة الموعودة فيه، ولا قوة إلا بالله. أيضا أن الله جل ثناؤه أخبر أن الموعودة عقوبة الذين كفروا وأضلوا غيرهم ضعف عقوبة من كفر ولم يضل غيره، ثم لو كان للكافر عقوبة غير الإضلال مثل عقوبة الإضلال لكان كل كافر عقوبته مضاعفة؛ لأنه لا كافر إلا ومعه ـ سوى الكفر ـ كبائر، ولا خص الله المضاعفة المضلين بقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العَنكَبُوت : ١٣] وقول الأتباع: ﴿ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا ﴾ [الأَعْرَاف : ٣٨] وجعل لكل ضعفا، فبطل أن يكون ذلك عقوبة الكبيرة، بل هي لو كانت في الكفر كان أحق للضعف منه في الإسلام للمثل. ألا ترى أنه يعاقب الكافر بجميع الآثام من صغائر وكبائر، ولا كذلك أمر من اعتقد دين الإسلام، ولا قوة إلا بالله. ثم الوجه الأخر من طريق الاعتبار أن الكفر مذهب يعقد،

(١) كتاب التوحيد للماتريدي ص ٢٦٠.

والمذاهب تعقد للأبد، فعلى ذلك عقوبته، وسائر الكبائر يفعل للأوقات، وهو عند غلبة الشهوات لا للأبد، فعلى ذلك عقوبتها، ولا قوة إلا بالله[١].

والثاني: أن الكفر قبيح لعينه، لا يحتمل الإطلاق ورفع الحرمة فعلى ذلك عقوبته في الحكمة لا يحتمل الارتفاع والعفو عنه، وسائر الآثام جائز رفع الحرمة عنها في العقل وإباحة ما له العقوبة، فمثله عقوبته، والله الموفق[٢].

والثالث: أن العفو عن الكافر عفو في غير موضع العفو؛ لأنه منكر المنعم ويرى ذلك حقا، فيكون في ذلك تضييع العفو وإبطال النعمة، ولا كذلك أمر سائر المآثم، بل يعرف صاحبها المنعم، فله أعظم الموضع، ولإكرامه أبين المحل، فجائز المغفرة له والعفو عنه في الحكمة، وبالله المعونة[٣].

والرابع: أن يكون الله تعالى قد أحسن إليه في الدين في الوقت الذي خفاه هو بفعله في أن جعل حقه أعظم في قلبه من الدارين وأنبياه ورسله أجل في صدره من أن يحتمل الاستحقاق بشعرة من شعورهم أو الاستهانة بشيء من أمور دين الله أو الركون إلى أحد من أعدائه فيما قد اختاره وآثره من الخلان لله، وكل ذلك هو إحسان الله إليه وإنعامه عليه، فلا يحتمل أن يضيع منه ويغير نعمه بجفوة يعلم أن قدرها من الذنوب لا يبلغ حرف مما لا يحصى من نعمه عليه وإحسانه إليه وهو يؤمن خلقه بأن لا يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن يضيع جميع ما أكرمه به فمثل الذي ذكر، وقد أنطق لسان رسوله أنه يدخل الجنة إلا من أبى ذلك، ويجمع بين من ذكرت وبين أعدائه مع كثرة مجاهدة إياهم في نصر دينه وإعلاء

(١)كتاب التوحيد للماتريدي ص ٣٦١.

(٢)كتاب التوحيد للماتريدي ص ٣٦٢.

(٣) نفس المرجع والصفحة .

كلمته، وقد ختم عليه لا والله ما يفعل ذلك وهو الغني الكريم وهو العفو الغفور وهو الرحيم الودود. مع ما جاءت البشرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في لحوق العبيد لمن أحبوهم، ثم كان الذي ذكر أحب رسول الله فيجعله قرين الشيطان ويحرمه زيارة رسوله، جل ثناؤه عن هذا الوصف الذي وصفته به المعتزلة والخوارج، على ظهور هذا الصنيع في جملتهم حتى لا يسلم من ذلك أحد، ولعله لا يذكر عن خارجي أو معتزلي قبضا سليما عن ذلك، وبعيدة في الحكمة أن يوفق للصواب في الدين من آثر عداوته في شهوته وآيس من رحمته في أدنى منفعة ويؤثر الخروج من دينه في مذهبه اشفاقا على نعمة يسيرة من الدنيا ويحرم من هو في ضد هذا الوصف، ولا قوة إلا بالله[١].

قال الشيخ رحمه الله: ثم جملة ما جاءت به الآثار في الوعيد بالتسمية من فسق أو فجور أو عصيان أو ظلم أنها أسماء لخصال ثلاث: منها ما قد يجوز أن يصير في الحكمة على الإشارة إلى الفعل الذي سمي لأجله به غير فسق ولا غيره من الأسماء الذميمة، ومنها ما لا يجوز ومن البعيد قصد شيئين بينهما هذا التباعد، فحق ذلك أن يصرف إلى ما لا يرتاب في الاسم والحكم، وإذ كان على أقسام ثلاثة ولم يتضمن كل الأقسام ثبت الخصوص في ذلك، فلزم صرف ذلك إلى ما لا يشك فيه، ولا قوة إلا بالله. على أن في الصرف إلى العموم يحقق له التناقض لمجيء أخبار العفو، فثبت بذلك الخصوص، ولا قوة إلا بالله[٢].

أو إذا احتمل الخصوص والعموم بما ينقسم المسمى به ما ذكرت فحق مثله الخوف لا القطع، فمن قطع جرح مما يوجبه الحكمة عند الشبه، ولا قوة إلا بالله. ثم الدلالة على وعيد الخلود لا يحتمله ما دون الشرك الأمر

(١) كتاب التوحيد للماتريدي ص ٣٦٢.

(٢)نفس المرجع ص ٣٦٣ .

الذي جبل عليه الخلق من نفارهم عما به الخروج من أديانهم التي اعتقدوها وإن كانوا اعتقدوها عقلا أو حجة أو تقليدا على وجود ما دون ذلك من الزلات فيهم وإن اختلفت أديانهم، فدل أن ذا مما جبل عليه الخلق، بل أيد ذلك العقول، إذ الاعتقادات تكون عند أربابها أبديات، ولا كذلك الأفعال التي تشار إليها وعلى ذلك أضدادها، وكذلك السمع في الأفعال المشارة أنها على الاختلاف، فعلى ذلك تركها، فدل ما ذكرنا على خروج مذهب الاعتزال عن الأمر المجبول عليه والمدفوع إليه أيضا بالتدبير، ولا قوة إلا بالله[١].

ثم نذكر طرفا مما يلزم المعتزلة على مذهبهم الوقف في التسمي بالإيمان، وهو أن من مذهبهم أن الحد الذي بين الصغيرة والكبيرة من المعاصي غير معروف ليكون المرء خائفا راجيا لا آمنا آيسا، فنقول: إذ لا أحد منكم يدعى براءة نفسه من كل ولا العلم ببلوغ الحد الذي يوجب الأمن والإياس، فذلك تردد الحال بين الكبيرة والصغيرة، والكبيرة تزيل اسم الإيمان والصغيرة لحقكم الشك في اسم الإيمان وزواله كما لحقكم في اسم الكبيرة والصغيرة، فإذا منع ذلك الشك القول بالأمن والإياس، ثم لما منع التسمي بالإيمان، والذي يدفع هذين واحد، ثم لما جاز إثبات الاسم مع الخوف، وأمركم أن المؤمن لا خوف عليه، ولم لا يخافون من تسميتكم انفسكم مؤمنين، الكذب الذي لعله كبيرة يزيل عنكم اسم الإيمان، فيكون بالتسمية من كبر أنفسكم، وقد حذرتم عن تزكية الأنفس بقوله تعالى : ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [النَّجْم : ٣٢]، ثم تعارضون بالبر والتقوى، أتشهدون أنفسكم بهما أو لا؟ فإن شهدوا لزمهم بالخوف في المتقين الأبرار أن يكون استوجبوا مقت الله والخلود في النار، فيكون جهنم دار المتقين الأبرار لا دار الفاسقين، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣﴾ [الانفِطَار: ١٣]، ويبطل الدعاء بقوله: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ [آل عِمْرَان : ١٩٣]، وإن أبوا التسمية بذلك

(١) نفس المرجع / ص٣٦٤.

لـزمهم مثلـه فـي الإيمـان، إذ هـو اسـم لمـا بـه النجـوة مـن مقـت الله كـالبر والتقوى. ثم يقال: إنه قد ثبت عن الأنبياء والرسل أنهم كانوا يدعون الله رغبا ورهبا وخوفا وطمعا ويزعمون أنهم لم يبتلوا بكبائر، فقد كان هذا الخوف مما لم يبل بها، لم لا دلكم أن ليس ترك بيان الحد لما يخاف ويرجى، بل ذلك لما لله معاقبة من شاء بالصغائر. ومن قولكم: إن ما يوجب العقوبة يزيل اسم الإيمان، فاعتبروا بأن لستم مؤمنين على ما أخبرتم في الحقيقة، والله الموفق[١]. وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحُجُرَات : ١٥]، وعندكم المؤمنين لا يخاف نقمة الله ولا يرجو رحمته، بل قد استوجب رحمته لو كان مؤمنا وليس لله أن يعذبه لو كان مؤمنا، والإيمان هو الذي حملهم على ذلك، فكيف الزمتموهم الخوف؟ وذلك ليس على المؤمن في الحقيقة، ومنعتموهم على الارتياب في الإيمان، والارتياب فيه بما رأى الخوف. وذلك بين التناقض، ولا قوة إلا بالله.)[٢].

ويؤكد ذلك المعنى ما ذكره الإمام الماتريدي: (في مسألة الشفاعة حيث قال : والشفاعة من أعظم ما احتج بها، وقد جاء القرآن بها والآثار عن رسول الله والشفاعة في المعهود والمتعالم من الأمر تكون عند زلات يستوجب بها المقت والعقوبة، فيعفى عن مرتكبها بشفاعة الأخيار وأهل الرضا. ثم كان الصغائر مما لا يجوز التعذيب عليها عند القائلين بالخلود في الكبائر، والكفار مما لا يعفى عنهم بالشفاعة، فإذا بطل عظيم ما جاء به من القرآن والآثار في الامتنان، وسقط ما جبل عليه أهل العلم من الرجا بالله وبرحمته، ويبطل دعاء المسلمين بشفاعة الرسل، ولا قوة إلا بالله.)[٣].

(١)نفس المرجع / ص٣٦٤.

(٢)التوحيد للماتريدي ص ٣٦٥.

(٣)التوحيد ٣٦٥.

والذي يتضح من كلام الإمام الماتريدي: أن الشفاعة يعتد بها عند أهل السنة والمعولة في صغائر الذنوب، بينما اختلف أهل السنة مع المعتزلة في خلود مرتكب الكبيرة، حيث يرى المعتزلة خلودهم في النار، في حين يفوض أهل السنة أمرهم إلى الله إن شاء عفا عنهم وإن شاء عذبهم، وعلى فرض تعذيبهم لا يخلدون في النار ، كما اتفقا في أن الكفار مما لا يعفى عنهم بالشفاعة من باب أولى.

ويقول الإمام النسفي في شرح العمدة : (ولما جاز عندنا غفران الكبيرة بدون الشفاعة، فلأن يجوز بشفاعة الأنبياء والأخيار أولى، وعندهم لما امتنع مغفرة صاحب الكبيرة بدون الشفاعة، كانت ممتنعة مع الشفاعة أيضا، كمغفرة الكافر ..... كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المُدَّثِّر : ٤٨]؛ لأنه ذكر ذلك في معرض التهديد للكفار، ولو كان لا شفاعة لغير الكفار أيضا لم يكن لتخصيص الكفار بالذكر في حال تقبيح أمرهم معنى وقوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مَرْيَم : ٨٥] ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مَرْيَم : ٨٦] ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مَرْيَم : ٨٧] وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهدا بالإيمان والتوحيد .... ولا تعلق لهم بقوله: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غَافِر : ١٨] وبقوله: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [البَقَرَة : ٢٧٠] والشفاعة نصرة، لأن الظالم المطلق هو الكافر، فأما المؤمن الذي معه الإيمان والأعمال الصالحة فلا يسمى ظالما على الإطلاق وبقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البَقَرَة : ٤٨] لأنها نزلت في اليهود وهم كفار ولا شفاعة لهم)[1].

(١) شرح العمدة / ص ٢٧٤: ٢٧٦ ، تفسير النسفي ص١٣٠٠

ويقول في مدارك التنزيل عند قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المُدَّثِّر : ٤٨] من الملائكة والنبيين والصالحين؛ لأنها للمؤمنين دون الكافرين)[١].

ويقول في مدارك التنزيل عند قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غَافِر : ١٨] ما الظالمين " الكافرين "من حميم" محب مشفق" ولا شفيع يطاع" أي يشفع)[٢].

ويقول في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البَقَرَة : ٤٨]، يعني يوم القيام لا تجزي نفس مؤمنة عن نفس كافرة شيئا أي لا تقضى عنها شيئا من الحقوق التي لزمتها، ولا يقبل منها والضمير في منها يرجع للنفس المؤمنة أي لا تقبل منها شفاعة للكافرة)[٣] .

والواضح من خلال كلام الإمام النسفي أن الشفاعة لا تجوز للكافرين وبالتالي لا يخرجون من النار بل يخلدون فيها أبد الآبدين.

(١) تفسير النسفي ص ١٣٠١.

(٢) تفسير النسفي ١٠٥١.

(٣) تفسير النسفي ١٠٥١.

المبحث الثالث

حكم جواز العفو عن الكفر وخروج الكافرين من النار عند الإمام الشعراني

ويحتوي هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

مذهب الإمام الشعراني في تلك المسألة وجذوره الفكرية

المتأمل لرأي الإمام الشعراني في هذا الموضوع يجد أنه قد استقاه من شيخه محي الدين بن عربي[١] والذي حاول البعض الطعن فيه بأنه يخالف ظاهر الشريعة وذلك بزعمهم أنه يقول : بخروج الكافرين من النار، علاوة على خروج فرعون من النار، فدفع الإمام الشعراني ذلك برد ما ألصقوه بشيخه مستدلا على ذلك بعدة أدلة من خلال مذاهب الأئمة المعتمدين، وكلام ابن عربي نفسه وهذه الأدلة كالتالي:

الدليل الأول: قول الشيخ عبد الكريم الجيلي[٢].

قال: إن من زعم بأن الشيخ يعتقد بخروج الكافرين من النار، وبإيمان فرعون زعم فاسد ، ومدسوس عليه؛ لأنه صرح بخلود الكافرين في النار أبد الآبدين، كما أورد الجيلي أنه يعتقد بتخليد فرعون في النار وأنه لا يخرج منها أبدا، وهذا خلاف ما أشاعه عنه بعض الملاحدة، ودسوه عليه وخاصة في كتابيه فصوص الحكم، والفتوحات المكيه، وقد فعل الملحدون ذلك ليروج أمره بإضافته للشيخ؛ لاعتقاد الناس فيه وفي غزارة وسعة علمه، وإما لينفروا الناس عن مطالعة كتبه وكلامه.

---

(١) محمد بن علي بن محمد المعروف بمحيي الدين ين عربي المتوفي ٦٣٨هـ الأعلام ج ٦/ ص ٢٨١.

(٢) عبدالكريم الجيلي، يعود نسبه إلى الصوفي عبدالقادر الجيلاني. ولد ببغداد سنة ٧٦٧هـ. راجع الأعلام ج٤/ص٥٠.

وفي ذلك يقول الإمام الشعراني: (رأي ابن عربي في مسألة خروج الكافرين من النار، وكذلك قال الشيخ عبد الكريم الجيلي في شرحه لباب الأسرار من الفتوحات المكية فقال: إياك أن تظن بالشيخ محي الدين أو غيره بأنهم يقولون: بإخراج الكفار من النار، فإن ذلك ظن فاسد، وقد قال في عقيدته الصغرى أول الفتوحات[١]؛ ويعتقد تخليد الكافرين في العذاب المهين آبد الآبدين، ودهر الداهرين، كما صرح بتخليد فرعون في النار، وأنه لا يخرج منها أبدا خلاف ما أشاعوه عنه، وإن وجد ذلك في كتاب الفصوص أو غيره فهو مدسوس عليه، دسه بعض الملاحدة؛ ليروج أمره بإضافته إلي الشيخ، واعتقاد الناس فيه وفي غزارة علمه، أو لينفر الناس عن مطالعة كلامه كما هو الغالب من الحسدة، فإذا رأوا مؤلفا لبعض أقرانهم مدحه الناس، وتلقوه بالقبول، ربما غلبهم الحسد، ودسوا فيه أمورا تخالف ظاهر الشريعة)[٢].

الدليل الثاني: ما حدث للإمام الشعراني نفسه.

يحكي الإمام الشعراني أن الحسد جعل بعض أقرانه يدسون عليه ما يخالف ظاهر الشريعة، وقد حدث ذلك بالفعل في كتاب البحر المورود في المواثيق والعهود، وقد دفع الإمام الشعراني ذلك بنفسه بإرسال النسخة الصحيحة موقع عليها من شيوخ الإسلام في الجامع الأزهر فسكنت الفتنة بعد قيامها.

وفي ذلك يقول الإمام الشعراني: (كما فعلوا ذلك في كتابي المسمى ب"البحر المورود في المواثيق والعهود "، ووقع بذلك فتنة عظيمة في جامع الأزهر وغيره، ولولا أني أرسلت لهم النسخة الصحيحة السالمة من الدس

(١) الفتوحات المكية ج١/ص ٦٢، ولقواعد الكشفية ص ٢٦٩.

(٢) القواعد الكشفية ص ٢٦٩.

التي عليها خطوط مشايخ الإسلام ما سكنت الفتنة، ولكن جزاهم الله تعالى عني خيرا في إنكارهم علي بتقدير صحة نسبة ذلك إلي، فلهم ثواب قصدهم ونيتهم؛ هذا أمر وقع لي)[١].

الدليل الثالث: ما حدث للإمام الغزالي نفسه.

يحكي الإمام الشعراني أنه رأي كتابا كاملا صنفه بعض الملاحدة ونسبوه للإمام الغزالي[٢] ليروجوا لبدعتهم، فقام عز الدين بن جماعة[٣] بدفع ذلك حيث كتب على ظهر هذا الكتاب هذا كذب وافتراء ومنسوب لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي وهو منه براء.

يقول الإمام الشعراني: (وقد رأيت كتابا كاملا صنفه بعض الملاحدة، ونسبه إلي أبي حامد الغزالي ليروج بذلك بدعته، فظفر به الشيخ عز الدين بن جماعة، وكتب علي ظهر الكتاب: كذب والله وافترى من أضاف هذا الكتاب إلي حجة الإسلام رضي الله تعالى عنه) [٤].

وبعد أن ذكر الإمام الشعراني تلك الروايات عقب عليها فقال: (فيحتمل أن تكون هذه المواضع التي انتقدت على الشيخ محيي الدين في كتاب "الفتوحات" و"الفصوص" دسها عليه بعض الحسدة، فإياك أن تضيف إلى الشيخ محيي الدين ما يخالف ظاهر الشريعة؛ فإنه إمام المحققين)[٥].

---

(١) القواعد الكشفية ص ٢٧٠.

(٢) محمد بن محمد الغزالي حجة الإسلام المتوفي ٥٠٥، وأنظرالأعلام ج٧/ ٢٢.

(٣) عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة المتوفي ٧٦٧هـ وأنظرالأعلام/ ج٤/ ص٢٦.

(٤) القواعد الكشفية ٢٧٠.

(٥) القواعد الكشفية ٢٧٠.

الدليل الرابع: كلام ابن عربي نفسه في هذا الموضوع.

لم يكتف الشعراني بما ذكره من روايات سابقة بل أراد أن يحقق ذلك من خلال كلام ابن عربي نفسه ليصبح تحقيق في تطبيق لإراحة فهم بإزاحة وهم؛ لذا سوف نفصل مذهب ابن عربي في مسألة العفو عن الكفر وخروج الكافرين من النار لدفع ما دس عليه في ذلك، وبذا يتضح مذهب ابن عربي جليا في المطلب الثاني.

المطلب الثاني

تحقيق في تطبيق وإراحة فهم بإزاحة وهم

من خلال

تصوير مذهب ابن عربي في تلك المسألة عند الإمام الشعراني

من خلال كلام الإمام الشعراني نجده أنه حذر من أن نضيف إلى الشيخ محي الدين ما يخالف ظاهره الشريعة؛ لأنه إمام المحققين، وما ورد مخالفا فذاك مدسوس عليه؛ لذلك أورد الإمام الشعراني ما صرح به الشيخ محي الدين في هذا الموضوع؛ ليريح الفهم بإزاحة الوهم ملخصه: أنه لا يجوز العفو عن الكفر وأن الكافرين مخلدون في النار؛ لأن هذا ما يوافق ظاهر الشريعة، وأن فرعون مخلد أيضا في النار، وإليك ما ذكره الإمام الشعراني من نصوص على لسان ابن عربي:

النص الأول: يصرح فيه أن أهل الجنة وأهل النار مخلدون فيهما أبد الآبدين.

يقول الشعراني نقلا عن ابن عربي:(وقد قال في الفتوحات:" أعلم أن أهل الجنة وأهل النار مخلدون فيهما أبد الآبدين، لا يخرج أحد منهم من داره أبدا، وأما عصاة الموحدين فيخرجون من النار بالنصوص المتواترة؛ إذ النار بطبعها لا تقبل خلود موحد أبدا، كما أنها بطبعها لا تقبل خروج أحد

من أهلها منها أبدا؛ لأنها خلقت من الغضب السرمدي، هذا اعتقاد الجماعة إلي قيام الساعة... انتهى[١]. فاعلم ذلك")[٢].

الـنص الثـاني: أن النـار لعصـاة الموحـدين غيـر سـرمدية بعكـس الكافرين.

نقل الإمام الشعراني عن ابن عربي نصا أخرا يقول فيه: (وقد ذكر الشيخ في الباب الرابع والأربعين وثلاثمائة[٣] في حديث: " ورحمتي سبقت غضبي "[٤]، وفي حديث الترمذي وغيره: " أمتي أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب، وإن عذابها في الدنيا الزلازل والفتن"[٥]، وفي رواية :" عذاب أمتي في دنياها الزلازل والفتن"[٦]، وفي حديث الطبراني[٧] مرفوعا: "الحمى حظ كل موحد من النار"[٨]. وقال ما نصه: (اعلم أن مراد الشارع بهذه الرحمة الخاصة بالموحدين، ومعنى: " ليس عليها في الأخرة عذاب" أي: مسرمد عليهم، بدليل الآيات والأخبار الواردة في دخول طائفة من عصاة الموحدين النار)[٩] .

(١)الفتوحات ج١/ ٦٥.
(٢)القواعد الكشفية ص ٢٧١.
(٣) الفتوحات المكية ج٥/ ص ٢٥٩.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٤/ ص ٤١٠ .
(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ح١/ ص ١١٤.
(٧) سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني توفي ٢٦٠ هـ (٨٧٣ م .أنظر الأعلام ج٣/١٢١، ووفيات الأعيان ج١ص٢١٥، تهذيب ابن عساكرج٦/٢٤٠ .
(٨) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ج٧/ ص ٢٩٥. حديث رقم ٧٥٤٠.
(٩)الفتوحات المكية ج ٥/ ص ٢٥٩ : ٢٦٠). القواعد الكشفية ص ٢٧١.

النص الثالث: رفع الإمكان من قلوب أهل الجنة والنار من الخروج منهما أبد الآبدين.

نقل الإمام الشعراني عن الشيخ الأكبر ما نصه: (قال في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة[١] في حديث: " ينادي المنادي حين يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار: يا أهل الجنة، خلود بلا موت، و يا أهل النار، خلود بلا موت"[٢] ما نصه: (اعلم أنه إذا وقع هذا النداء ارتفع الإمكان من قلوب أهل الجنة من وقوع الخروج منها، وكذلك يرتفع الإمكان من قلوب أهل النار من توقع خروجهم منها، فيا لها من حسرة ما أعظمها، قال: وتغلق أبواب النار حينئذ غلقا لا فتح بعده أبد الآبدين، ويصير الخلق في النار كقطع اللحمة التي جعلت في الماء في قدر، ثم أججت تحتها نار عظيمة حتى صارت صاعدة هابطة[٣]، والحمد لله رب العالمين)[٤].

ويعقب الإمام الشعراني في كتابه القواعد الكشفية على هذه النصوص التي تبرئ ساحة الشيخ ابن عربي مما التصق به من تهم بزعم مخالفيه من أنه يعتقد بخروج الكافرين من النار، وما زال ينقل عن الشيخ النصوص التي تدفع تلك الشبهة، فيقول: (وقد بسطنا الكلام على أهل الجنة والنار، وعلى أحوالهم في الدارين أواخر كتاب " اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر"[٥] والحمد لله رب العالمين)[٦].

(١)الفتوحات ج ٦/ ٢١١ وطبعة أخرى ١٧٨/٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب " وانذرهم يوم الحسرة" حديث رقم ٤٧٣٠. ومسلم حديث رقم ٢٨٤٩.

(٣)الفتوحات ج ٦/ ٢١١.

(٤)القواعد الكشفية ٢٧٢.

(٥)اليواقيت والجواهر ج٦١٦/٢ .

(٦) القواعد الكشفية ص٢٧٢ .

وإليك تلك النصوص التي ذكرها الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر نقلا عن ابن عربي استكمالا لما بدأناه:

النص الرابع: النار سجن اللّه تعالى في الآخرة للكافرين أبد الآبدين ودهر الداهرين.

يعرف الإمام الشعراني النار بقوله: (اعلم يا أخي أن جهنم من أعظم المخلوقات وهي سجن اللّه تعالى في الآخرة يسجن فيها المعطلة والمشركين والكافرين والمنافقين أبد الآبدين ودهر الداهرين ، قال تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البَقَرَةِ : ٤٨] ، وأما أهل الكبائر من المؤمنين فيسجنون ما شاء اللّه ثم يخرجون، وهي مشتملة على حرور وزمهرير ففيها البرد على أقصى درجاته وبين أعلاها وأسفلها خمس وسبعمائة من السنين ولا يخفى أن حرورها إنما هو هواء محرق لا جمرة لها سوى بني آدم والأحجار المتخذة آلهة من دون اللّه قال تعالى: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ ٢٤﴾ [البَقَرَةِ : - ٢٤] وقال تعالى : ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾ [الأَنبِيَاء:- ٩٨] وقال تعالى :﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ٩٥﴾ [الشُّعَرَاء : ٩٤- ٩٥])[1].

النص الخامس: باب الحجاب لا يفتح لأهل النار أبدا.

وفي ذلك يقول الشعراني نقلا عن ابن عربي: (قال الشيخ محيي الدين: ولجهنم سبعة أبواب مفتحة ليس فيها باب مغلق إلا الباب الثامن الذي هو باب الحجاب عن رؤية اللّه عز وجل فلا يفتح لأهل النار أبدا قال: وجميع الكواكب التي في جهنم مظلمة الأجرام عظيمة الخلق وكذلك

(١)اليواقيت والجواهر ج ٢/ص ٦١٩.

الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما في جهنم دائما فشمس جهنم شارقة لا مشرقة والتكوينات عن سيرها بحسب ما يليق بتلك الدار)[١].

النص السادس: في النار أربعة أقسام مؤبدة.

يقول الإمام الشعراني نقلا عن ابن عربي: (فإن قلت: فكم أقسام أهل النار الذين هم أهلها ؟ فالجواب: هم أربعة أقسام كما قاله الشيخ في الباب الثاني والستين من " الفتوحات " وترجع الأربعة أقسام إلى المجرمين خاصة قال تعالى: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩﴾ [يس: ٥٩] أي المستحقون لأن يكونوا أهلا لسكنى جهنم لا يخرجون منها إلى الجنة أبدا، القسم الأول المتكبرون عن أمر اللّه كفرعون[٢] والنمروذ[٣] وأبي لهب[٤] وأضرابهم، الثاني المشركون وهم الذين يجعلون مع اللّه إلها آخر، الثالث المعطلون وهم الذين نفوا الآلهة جملة فلم يثبتوا للعالم إلها ولا من العالم، الرابع المنافقون وهم الذين أظهروا الإسلام من أهل هذه الأقسام الثلاثة للقهر الذي حكم عليهم فخافوا على دمائهم وأموالهم وذراريهم وهم في أنفسهم على ما هم عليه من اعتقاد ما عليه هذه الطوائف الثلاث، فهؤلاء الأربعة هم الذين لا يخرجون من النار من جن وإنس انتهى)[٥].

قلت(: فكذب واللّه وافترى من نسب إلى الشيخ محيي الدين أنه يقول بقبول إيمان فرعون ولو أنه كان يقول به ما صرح هنا بأنه من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين فإمّا أنه مدسوس عليه كما مرت الإشارة

(١) الفتوحات٢/ ٢١١) . وأنظر اليواقيت والجواهر ج٢/ ص ٦٢٢.
(٢) الفتوحات٢/ ٢١١) . وأنظر اليواقيت والجواهر ج٢/ ص ٦٢٢.
(٣) الفتوحات٢/ ٢١١) . وأنظر اليواقيت والجواهر ج٢/ ص ٦٢٢.
(٤) الفتوحات٢/ ٢١١) . وأنظر اليواقيت والجواهر ج٢/ ص ٦٢٢.
(٥)الفتوحات ج١/٤٥٥) (اليواقيت والجواهر ج ٢/ ص: ٦٢٣، ٦٢٤)

إلى ذلك في الخطبة ، وإما أنه كان تبع فيه القاضي أبا بكر الباقلاني[١] فإنه قائل: بقبول إيمان فرعون؛ لأن اللّه تعالى حكى عنه أنه قال: " ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ **[يُـونُس : ٩٠]** " ولم يحك عنه ما يناقضه بعد ذلك ، وقد انعقد إجماع الأئمة كلهم على عدم قبول إيمانه فإياك أن تنقل عن الشيخ محيي الدين أنه يقول بقبول إيمان فرعون وتخرق الإجماع لا سيما " الفتوحات " من أواخر مؤلفاته؛ لأنه فرغ منها قبل موته بنحو خمس سنين والله تعالى أعلم)[٢].

النص السابع: سبب عدم تأبيد عصاة الموحدين بعكس الكافرين.

يقول الإمام الشعراني عن ابن عربي: (فإن قلت (: فما سبب إماتة اللّه تعالى لعصاة الموحدين في جهنم دون الكفار ؟ فالجواب (: سببه إكرام اللّه تعالى للجوارح التي كانت تسبح بحمده وتطيعه وإنما وقعت في المخالفات من حيث إنها كالمجبورة تحت قهر النفس المدبرة للسوء فلوقوعها في المعاصي عذبت ولتوحيدها للّه تعالى أخرجت؛ لأن النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها أبدا ثم إن جوارح العصاة إذا ماتت فلا تحس بعد ذلك بألم حتى تخرج بالشفاعة فضلا من اللّه تعالى عليها، بخلاف الكفار لا تموت لهم جوارح أبدا ليذوقوا العذاب وذلك؛ لأن معصيتهم بالكفر مستصحبة لا تفارقهم ولو أنهم كانوا بقوا أبد الآبدين لكانوا كفارا فلذلك خلدوا في النار من حيث نيتهم. وأما عصاة الموحدين فلهم زاجر من أنفسهم إذا عصوا ويعقبهم الندم، وإيضاح ذلك كما قاله الشيخ في الباب الموفي ثلاثمائة من " الفتوحات " : إن جسد الإنسان كله من حيث طبيعته طائع للّه خائف من عذابه وما من جارحة يرسلها العبد في معصية إلا وهي تناديه لا تفعل ولا

(١) محمد بن الطيب توفي ٤٠٣ راجع الأعلام/ج٦/ ١٧٦، الضوء اللامع/ ج٧/٢٧٤.
(٢)اليواقيت ج٢/ ص ٦٢٤.

ترسلني فيما حرمه اللّه عليك فإني شاهدة عليك وتتبرأ إلى اللّه تعالى من ذلك الفعل وكل قوة وجارحة في العبد بهذه المثابة تنادي أخواتها لا تفعلوا معصية انتهى)[١].

النص الثامن: الكافر لا يخفف عنه بالكي والحرق فهما لعصاة الموحدين.

يقول الإمام الشعراني عن ابن عربي: فإن قلت (: إن اللّه تعالى قد جعل الكي بالنار في هذه الدار وقاية ودفعا لألم أشد من النار فهل يكون إحراق الموحدين في النار كذلك دفعا لما هو أشد من الحرق ؟ فالجواب (: نعم إحراق الموحدين في النار دفعا لما هو أشد منه وهو غضب اللّهّ السرمدي فما سكن الغضب الإلهي إلا بحرقهم بالنار نظير ما يضرب الإنسان غلامه أو عبده ثم يرضى عنه وهذا من رحمة اللّه تعالى بالموحدين ومن هنا قال بعضهم: مت مسلما ولا تبالي، بخلاف المشركين فإن عذابهم لا ينقطع فكانت النار لأصحاب الكبائر من الموحدين الذين ماتوا على غير توبة مقبولة كالكي بالنار في الدنيا ولذلك ورد أنهم يخرجون من النار قد امتحشوا فيلقون في نهر على باب الجنة نظير ما يخرج صاحب الكي بالنار إلى العافية ذكره الشيخ في الباب الثامن والثمانين من الفتوحات وقال : هذا كله على جعل النار وقاية كالحدود الدنيوية فإن اللّه تعالى جعلها وقاية من عذاب الآخرة ولهذا سميت كفارات والكفر الستر فهو يستر العاصي عن عذاب الآخرة ولهذا قلنا في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ٣٣﴾ [المَائِدَة : ٣٣] إلى آخره [٢] ، أن المراد بهم الكفار لا الموحدون لأن اللّه تعالى لما عاقبهم في الدنيا بالقتل

(١)الفتوحات ج٥/ ٣: ٨ ، و(اليواقيت ج٢/ ص ٦٣٠).

(٢)الفتوحات المكية نقلا عن (اليواقيت ج٢/ ص ٦٣١: ٦٣٢).

والصلب وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف لم يجعل تلك العقوبات كفارة مثل ما جعلها في الحدود في حق الموحدين بل قال: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المَائِدَة : ٣٣] وهذا لا يكون إلا للكفار إذ العذاب العظيم هو الذي يعم الظاهر والباطن بخلاف أهل الكبائر من الموحدين كما مر فإن اللّه تعالى يميتهم في النار إماتة حتى يعودوا حمما شبه الفحم فإذا لم يحسوا بالعذاب في موتهم ليس لهم حظ في العذاب العظيم لأنهم محروقون بالنار مثل الجمرات ثم إن النار تفعل بواسطة الجمرات التي ظهرت فيها أمرا آخر فيه منفعة كما تنفع النار تحت القدر في إنضاج ما فيه ولولا إنضاجه ما ساغ أكله، إذا فهمت ذلك علمت حكمة تأثير النار التي هي تحت أرض الجنة وأنها إنما جعلت لتؤثر في فواكه الجنة النضج والإصلاح، فإن مقعر أرض الجنة هو سقف النار والشمس والقمر والنجوم كلها في النار فتفعل في الأشياء هنالك علوا ما كانت تفعله هنا سفلا ألا ترى أن أرض الجنة كلها مسك وهو حار بالطبع لما فيه من النار وأشجار الجنة كلها مغروسة في تلك التربة المسكية كما يقتضي ثبات هذه الدار الدنيا جعل الزبل تحته لما فيه من الحرارة الطبيعية؛ لأنه معفن والحرارة تعطي التعفين في الأجسام القابلة للتعفين انتهى)[١].

النص التاسع: أهل الجنة لهم التبوؤ حيث شاءوا بعكس أهل النار لا يبرحون أماكنهم أبدا.

يقول الإمام الشعراني عن ابن عربي: فإن قلت (: فهل لأهل النار أن يتبوءوا من النار حيث شاءوا كأهل الجنة أم هم محبوسون في أماكنهم لا يبرحون ؟ فالجواب (: كما قاله الشيخ في الباب الثالث وأربعين

(١)الفتوحات المكية ج/ ٢٤٣). وأنظر (اليواقيت ج٢/ ص ٦٣١: ٦٣٢).

وثلاثمائة: إن أهل النار لا يتبوؤن وإنما هم محبوسون في أماكنهم لا يبرحون وإيضاح ذلك أنهم لو كان لهم التبوؤ حيث شاءوا ما استقروا حتى تنضج جلودهم فكان من رحمة اللّه تعالى الخفية بهم من حيث لا يشعرون عدم تبوئهم فإن العذاب المستصحب أهون من العذاب المجدد فلو كانوا ينتقلون من مكان إلى مكان لكانوا يذوقون في كل مكان ينتقلون إليه عذابا جديدا إلى حصول الإنضاج وذلك أشد العذاب)[١].

النص العاشر: في الدليل على عدم تبوؤ أهل النار من أماكنهم أبدا.

يقول الإمام الشعراني عن ابن عربي: فإن قلت: (فما الدليل على عدم تبوؤ أهل النار من القرآن ؟ فالجواب: الدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝٨﴾ [الإِسْرَاء : ٨] أي سجنا لأن المحصور ممنوع من التصرف فرحم اللّه الكفار من حيث لا يشعرون بعدم التبوؤ في النار كما مكر بهم في دار الدنيا من حيث لا يشعرون ونظير ذلك المضروب في بيت الوالي مثلا يحس بالألم أولا فإذا تحضرت أعضاؤه غاب عن الإحساس بالألم فهذا الجزاء اليسير من عدم الإحساس هو من الرحمة التي سبقت الغضب في أهل النار في بعض الأوقات)[٢].

النص الحادي عشر: عصاة الموحدين لا يخلدون في النار وإنما يخلد الكفار.

يقول الإمام الشعراني: فإن قلت: (فما المراد بقوله صلى اللّه عليه وسلم في حديث البيهقي "[٣]أمتي أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب

(١)الفتوحات ج٥/٢٥٤) .اليواقيت ج ٢/ص ٦٣٢.

(٢) الفتوحات ج٥/ ٢٥٥، واليواقيت ج٢ ص ٦٣٢: ٦٣٣

(٣)أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي المشهور بالبيهقي ج١/١١٦

وإن عذابها في الدنيا الزلازل والفتن والبلايا والمحن "[١] الحديث بمعناه، وفي رواية أخرى " عذاب أمتي في دنياها "[٢] وإذا كانوا كذلك فأين العصاة الذين يدخلون النار من الموحدين ؟ فالجواب: (كما قاله الشيخ في الباب الرابع والأربعين وثلاثمائة: إن المراد بقوله: ليس عليها في الآخرة عذاب أي مسرمد بدليل الأحاديث الصحيحة الواردة في دخول طائفة من هذه الأمة النار من الموحدين ولكن من رحمة اللّه تعالى بهم إماتتهم في النار كما مر آنفا حتى لا يحسوا بما تأكل النار منهم وذلك لأن النفوس المتألمة هي الموحدة المؤمنة والإيمان والتوحيد يمنعان قيام الآلام والعذاب إلى غير نهاية فما حرقوا وصاروا حمما إلا وهم أموات والميت لا يحس بما يفعل به ولو تصور علمه بالحرق لم يحس به إذ ليس كل ما يعلمه العبد يحس به فلذلك كان لا بد من رفع العذاب عن الموحدين وأنهم إن دخلوا النار فإنما ذلك تحقيق للكلمة الإلهية فلا يبقى في النار من قال: لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، ولو مرة واحدة في عمره ومات على ذلك انتهى)[٣].

النص الثاني عشر: فك التعارض لبعض آيات يوهم ظاهرها أن أهل النار يتلذذون بالعذاب.

يقول الإمام الشعراني: فإن قلت: (فما معنى قوله تعالى في أهل النار حين ذاقوا العذاب ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨﴾ الأنعام : ٢٨] مع أنهم قالوا في محل يصدق به الكذوب ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ ٣٧﴾ [فَاطِر : ٣٧] ، فالجواب : إنما قالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل بلسان الحالة التي هي حالّة بهم لظنهم أنها

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الفتوحات ج٥/ ٢٦٠، واليواقيت/ج٢ ٦٣٣: ٦٣٤.

تدوم معهم إذا رجعوا إلى الدنيا وهي لا تدوم فإنهم إذا رجعوا إلى الدنيا رجعوا بحكم القبضتين، وهو عملهم بعمل الأشقياء لا يمكنهم أن يعملوا بعمل السعداء، وإيضاح ذلك كما قاله الشيخ في الباب الرابع والخمسين وثلاثمائة : إن اللّه تعالى خلق الإنسان على مزاج يقبل النسيان والغفلة، ويقبل أيضا ضد ذلك على حسب ما يقام فيه فهو تعالى يعلم من نشأة هؤلاء الذين لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه أنهم لا يرجعون إلى الدنيا إلا بتلك النشأة فينسون ما ذاقوه من عذاب النار، وما قالوا: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧] إلا بلسان النشأة التي هم فيها لتخليهم أن ذلك العلم والذوق الذي حصل عندهم في النار يبقى عليهم ولو أنه بقي معهم لما كانوا يعودون لما نهوا عنه إذا ردوا إلى الدنيا، ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم "يؤتى في القيامة بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة فيقال له: "هل رأيت نعيما قط فيقول لا والله"[(١)] ومعلوم أنه رأى في الدنيا نعيما ولكن حجة شاهد الحال عن هذا النعيم فنسيه، وكذلك ورد في صاحب البؤس إذا غمس في الجنة غمسة فيقال له: "هل رأيت يوما بؤسا قط فيقول: لا واللّه ما رأيت بؤسا قط وأطال في ذلك"[(٢)]، ثم قال: فعلم أن جميع المؤمنين يعلمون بإنفاذ الوعيد في حق طائفة منهم لكن غير معينة؛ لأنها لو تعينت العقوبة لواحد منهم في دار الدنيا وأنه هو الذي ينفذ فيه الوعيد لما أقدم على سببها أبدا انتهى)[(٣)].

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ [التحريم: ١]، (٦/ ١٥٦)، برقم: (٤٩١٣).

(٢)خرجه ابن حبان (١٢/ ١٦)، رقم: (٥٢١٦).

(٣)الفتوحات ج٥/ ٣٦٠ . اليواقيت /ج ٢ص ٦٣٤: ٦٣٥.

النص الثالث عشر: عصاة الموحدين مهما طال مكثهم في النار لا يخلدون فيها عكس الكفار.

يقول الإمام الشعراني: فإن قلت: (فمن أكثر عصاة الموحدين مكثا في النار ؟ فالجواب: قد ذكر الشيخ في علوم الباب التاسع والستين وثلاثمائة ما نصه:(اللّه تعالى لم يطلعني على مدة أكثر العصاة مكثا في جهنم قال: وإنما سترون من قوله تعالى ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المَعَارِج : ٤] أن آخرهم مكثا من يمكث فيها هذا القدر قال: وما نحن من كمال الخمسين ألفا على يقين فهذه هي مدة إقامة الحدود على الموحدين من أهل الكبائر قال: وكل ذلك في يوم القيامة وليس السرمدي إلا لأهل النار الذين هم أهلها، فإذا انقضى يوم القيامة لم يبق أحد من عصاة الموحدين في النار أبدا فرحم اللّه عبدا أطلعه اللّهّ على مدة إقامة العصاة في النار على التحديد، فألحقه بهذا الكتاب فإني إنما علمت ذلك مجملا من غير تفصيل)[١].

النص الرابع عشر: هل لأهل النار نعيم فيها أم لا؟

يقول الإمام الشعراني: فإن قلت: (فهل لأهل النار حظ من النعيم في وقت من الأوقات ؟ فالجواب: كما قاله الشيخ في الباب العشرين من " الفتوحات ": نعم لأهل النار حظ من النعيم، ولكن صورة نعيمهم عدم توهمهم وقوع العذاب بهم كما أن حظهم من شدة العذاب توقعه لأنه لا أمان لهم . بطريق الأخبار عن اللّه تعالى فلا يفتر عنهم العذاب فلم يزالوا في غشية من العذاب بعد غشية وإفاقة بعد إفاقة ففي حال الغشية يعذبون بالعذاب المتخيل وفي حال الإفاقة يعذبون بالعذاب المحسوس، وقد يطول

(١)الفتوحات المكية ج٦/ ص٩٨ واليواقيت ج ٢/ ص ٦٣٥.

زمن الغشية نحو عشرة آلاف سنة وقد يطول زمن الإفاقة فيعذبون خمسة عشر ألف سنة، وهكذا أبد الآبدين ودهر الداهرين، فعلم أن أشد العذاب على أهل النار ما يقع في نفوسهم من التوهمات فإنهم لا يتوهمون قط عذابا أشد مما هم فيه ألا تكون في نفوسهم لوقته) [١].

النص الخامس عشر: هل ينام أهل النار فيستريحون مما هم فيه.

يقول عبد الوهاب الشعراني فإن قلت: (فهل عند أهل النار الذين هم أهلها نوم ؟ فالجواب: ليس عندهم نوم وإنما النوم خاص بعصاة هذه الأمة من الموحدين فقط وذلك هو القدر الذي يتنعمون به في النار ويستريحون به في بعض الأوقات، ثم إن عصاة الموحدين إذا ناموا يكون نعيمهم في منامهم الرؤيا الحسنة فيرى نفسه مثلا أنه خرج من النار ودخل الجنة وصار في فرح وسرور وأكل وشرب وجماع بين أهله وإخوانه ثم إذا استيقظ لا يرى شيئا كما يقع لأهل الدنيا إذا ناموا وبعض أهل النار من الموحدين قد يرى في منامه أيضا ما يسوءه فيعذب في منامه أيضا فيرى أنه في بؤس وضر وعقوبة وفراش من شوك ونحو ذلك نسأل اللّه العافية)[٢].

النص السادس عشر: قول إبليس: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الحَشْر : ١٦] ينفعه يوم القيامة.

يقول عبد الوهاب الشعراني: (إن قلت فهل قول إبليس ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الحَشْر : ١٦] توحيد ؟ فإن كان توحيدا فلم لم يسعد به ؟ فالجواب: هو توحيد ولكن كتوحيد المنافق بلسانه فقط دون قلبه فكان الحكم عليه بالكفر والشرك والنفاق والتعطيل في هذه الدار كحكمنا على أهل

(١)الفتوحات ج١/ ٢٥٨.و اليواقيت ج٢/ ٦٣٦.

(٢)اليواقيت ج٢/ص ٦٣٧ .

هذه الصفات في الآخرة سواء، وقد انعقد إجماع الملل كلها على كفره وأنه لا يصح أن يسلم قط حقيقة لأنه لو تصور إسلامه حقيقة لم تجد الكفار والعصاة من يوسوس لهم بالوقوع في الكفر والمعاصي ولابد لكل عاص من واسطته فهو أول من سن الشرك والكفر وسائر المعاصي، ثم بتقدير أن قوله ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الحَشْر : ١٦] توحيد فما نحن على يقين من استدامة ذلك إلى الممات؛ لأن اللّه تعالى أخبر عنه أنه يخطب لأهل النار في النار ، وقد سئل الشيخ محيي الدين عن قول إبليس ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ١٦﴾ [الحَشْر : ١٦] هل هو توحيد ؟ فقال (ليس ذلك بتوحيد لأن إبليس أشقى الأشقياء وهو أول شقي من الجن فهو ولو وحد بلسانه فليس ذلك بتوحيد شرعي يقبل منه، انتهى، ذكره في الباب التاسع من الفتوحات)[١].

وذكر في الباب الرابع والستين:(أن النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها بأي وجه كان توحيده وإبليس مخلد في النار بالإجماع وفي صحيح مسلم: "من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة "[٢] فلم يقل وهو مؤمن، ولا قال من مات وهو يقول بل أفرد العلم فلا يبقى بعد الشفاعات في النار أحد ممن عمل عملا مشروعا من حيثما هو مشروع بلسان نبي ولو كان مثقال حبة من خردل فما فوق ذلك في الصغر فيخرجون كلهم بشفاعة أرحم الراحمين)[٣].

(١) الفتوحات ج١/ ٢٠٦.

(٢) أخرجه البخاري (برقم ١٢٨) ومسلم (برقم ٣١) من حديث معاذ بن جبل.

(٣) الفتوحات ج١/٤٦٤) اليواقيت ج٢/ ٦٣٨ : ٦٣٨.

النص السابع عشر: أهل النار لا يشهدون نورالكواكب ويظلون كذلك أبد الآبدين.

يقول عبد الوهاب الشعراني فإن قلت: إذا كانت الكواكب كلها طالعة وغاربة في النار فأين نورها وجهنم سوداء مظلمة؟ فالجواب: أن نور الكواكب موجود ولكن أهل النار لا يشهدون نورها لا حال شروقها ولا حال غروبها لما في دخان جهنم من الكدورة وكانوا في الدنيا عميا عن إدراك الحق الذي جاءت به الشرائع كذلك صاروا عميا في النار عن إدراك الأنوار فليل أهل النار لا صباح له، كما أن نهار أهل الجنة لا ليل له، ولا يزال أهل الجنة وأهل النار على ما وصفنا أبد الآبدين؛ ولذلك سمى اللّه تعالى يوم القيامة باليوم العقيم؛ لأنه لا يوم بعده قال وهو يوم السبت)[١].

النص الثامن عشر: كيفية غلق النار على الكفار للأبد ؟

يقول عبد الوهاب الشعراني خاتمة:(ذكر الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة من " الفتوحات " ما نصه اعلم أنه (إذ ذبح الموت بعد مجيئه في صورة كبش ونادى المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت)[٢] ارتفع الإمكان من قلوب أهل الجنة وأيسوا من الخروج منها وكذلك يرتفع من قلوب أهل النار فيا لها من حسرة ما أعظمها قال : وتغلق أبواب النار غلقا لا فتح بعده أبدا لكن لا يخفى أن عين غلق أبواب النار هو عين فتح باب الجنة؛ لأنها على شكل الباب الذي إذا فتحته سددت به موضعا آخر فعين غلقه لمنزل هو عين فتحه منزلا آخر)[٣] وتقدم أن الباب الثامن الذي لا يفتح في النار هو

(١) اليواقيت ج ٢/ ص ٦٤١.

(٢) سبق تخريجه

(٣) الفتوحات المكية ج ٦/ ص ٢١١.

باب الحجاب عن رؤية ربهم عز وجل فلا يفتح أبدا. قال الشيخ محيي الدين:(واعلم أنه إذا أغلقت أبواب جهنم فارت وغلت وصارت أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها وصار الخلق فيها كقطع اللحم في القدر الذي على نار شديدة وأطال في صفة عذاب أهل النار)[١]. انتهى)[٢]. الفصل السادس)[٣].

النص التاسع عشر: افتراءات مدسوسة على الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي.

يقول عبد الوهاب الشعراني فإن قلت: (فكذب واللّه وافترى من أشاع عن الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه اللّه أنه كان يقول : إن أهل النار الذين هم أهلها يخرجون منها بعد مدة تعذيبهم، وكذلك كذب من دس في كتاب الفصوص والفتوحات المكية " أن الشيخ قائل بأن أهل النار يتلذذون بالنار وأنهم لو أخرجوا منها لاستغاثوا وطلبوا الرجوع إليها كما رأيت ذلك في هذين الكتابين وقد حذفت ذلك من الفتوحات حال اختصاري لها، حتى ورد على الشيخ شمس الدين الشريف المدني[٤] فأخبرني بأنهم دسوا على الشيخ في كتبه كثيرا من العقائد الزائغة التي نقلت عن غير الشيخ كما مرت الإشارة إليه في الخطبة فإن الشيخ من كمل العارفين بإجماع أهل الطريق وكان جليس رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم على الدوام فكيف يتكلم بما يهدم شيئا من أركان شريعته ويساوي بين دينه وبين جميع الأديان الباطلة

(١)الفتوحات ج ٦ / ص ٢١١.

(٢)الفتوحات ج ٦ / ص ٢١١.

(٣) اليواقيت ج٢/ ص٦٤٢.

(٤) محمد ظافر بن حسن بن حمزة شمس الدين المدني توفي ١٣٢٥هـ. راجع الأعلام ج٦/ ١٧٩.

ويجعل أهل الدارين سواء هذا لا يعتقده في الشيخ إلا من زعل عنه عقله، فإياك يا أخي أن تصدق من يضيف شيئا من العقائد الزائغة إلى الشيخ واحم سمعك وبصرك وقلبك وقد نصحتك والسلام، وقد رأيت في عقائد الشيخ الوسطي[١] ما نصه: ونعتقد أن أهل الجنة وأهل النار مخلدون في داريهما لا يخرج أحد منهم من داره أبد الآبدين ودهر الداهرين قال : ومرادنا بأهل النار الذين هم أهلها من الكفار والمشركين والمنافقين والمعطلين لا عصاة الموحدين فإنهم يخرجون من النار بالنصوص ، قال: لأن النار كما لا تقبل بطبعها خلود موحد فيها كذلك لا تقبل بطبعها خروج أهلها منها أبدا لأنها خلقت من الغضب السرمدي قال: وهذا اعتقاد الجماعة إلى قيام الساعة انتهى. وفي لواقح الأنوار التي جمعها محمد بن سويدكين[٢] من مجالس الشيخ وتقريراته: اعلم يا أخي أن جميع ما وجدته من قولنا بخروج أهل النار منها في سائر كتبنا وتقريراتنا فمرادنا بهم عصاة الموحدين انتهى، وقد نبه على ذلك أيضا الشيخ الكامل عبد الكريم الجيلي[٣] في شرحه لباب الأسرار من الفتوحات فقال: إياك والغلط فتفهم من كلام الشيخ أنه يريد بخروج أهل النار غير الموحدين من الكفار فإن ذلك خطأ انتهى، وقد رجع بحمد اللّه تعالى على يدي جماعات كثيرة من صوفية الزمان الذين لا غوص لهم في

(١) محمد بن يوسف السنوسي التلمساني من مؤلفاته العقيدة الوسطى توفي ٨٩٥هـ أنظر الأعلام ج٧/ ص١٥٤.

(٢)اسماعيل بن سويدكين النوري كان من التلاميذ المقربين من ابن عربي صوفي تونسي من تصانيفه لواقح الأسرار ولوائح الأنوار توفي ٦٤٦هـ أنظر الأعلام ج١/ ص ٣١٤.

(٣)عبد الكريم الجيلي من مؤلفاته شرحه لباب الأسرار من الفتوحات، توفي ٨٣٢هـ راجع الأعلام ج٤/ س ٥٠.

الشريعة في اعتقاد خروج أهل النار الذين هم أهلها تقليدا لما أشيع عن الشيخ محيي الدين وتابوا إلى اللّه تعالى بعد أن كانوا يتساورون فيما بينهم فالحمد للّهّ رب العالمين)[١] .

النص العشرون: هل آية هود تدل على انتهاء عذاب أهل النار وفنائها؟

يقول الإمام الشعراني: (وفي الحديث عن أبي ذر[٢] قال: قلت يا رسول اللّه: (أين تذهب الشمس إذا غربت؟ قال تذهب حتى تسجد لله تعالى تحت العرش فتستأذن فيكسى عليها سبعون حلة من نور العرش ويؤذن لها...الحديث)[٣] فعلمنا بهذا الحديث وغيره أن للجنة سماوات وأرضا باقيات خالدات أبد الآبدين لا تفنى ولا تبيد ومن توقف فيما قلناه فإنما هو لعكوفه على المألوفات في هذه الدار كما لو قيل لمن ليس في بلادهم زيت إنا رأينا في بلاد شيئا يوضع في شيء اسم أحدهما زيت والآخر فتيلة قطن فينور على الناس طول ليلتهم فإنه يستبعد ذلك أشد البعد ولا يصدقه إلا إن رآه ولكن من رزقه اللّه قوة الإيمان لا يتوقف فيما أخبر اللّه ورسوله أبدا . قال الشيخ أبو طاهر[٤] والآية التي أشكلت على الأئمة الماضين دالة على هذا المعنى وهي قوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ

(١)اليواقيت ج٢/٦٤٢/ ٦٤٤.

(٢)أَبُو ذَرٍّ جُنْدَبُ بْنُ جُنَادَةَ ٱلْغِفَارِيُّ (المتوفَّىٰ سنةَ ٣١ هـ أو ٣٢ هـ) صَحابي الأعلام ج٢/١٤٠.

(٣)الحديث رواه البخاري في صحيحه (٣١٩٤) والترمذي في سننه (٣٢٦٠).

(٤) أبو طاهر السلفي، المعروف بأبي طاهر أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني، كان محدثًا وعالمًا إسلاميًا، عاش في القرن السادس الهجري. تميز بمنهجه في تلقي العلم والسنة النبوية، توفي عام١٢٨٧هـ راجع الأعلام ج/١/٢٤٧.

ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾ [هُود : ١٠٨] يريد أن السعداء يكونون في الجنة خالدين دوام خلود سماوات الجنة وأرضها إلا ما شاء ربك زيادة على المكث الدائم من النعم السنية والألطاف الخفية مما أعده الله فيها كما في حديث " في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[١] قال وأعلى نعيمها الرضا والنظر إلى وجهه الكريم فمثل هذه هي العطايا الجسام المستثناة من نعمة الخلود وتصديق هذا التفسير قوله تعالى في آخر الآية ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هُود : ١٠٨] أي: غير مقطوع وأما قوله في صفة أهل النار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هُود : ١٠٧] فهي دالة أيضا على أن للكفار أرضا وسماوات إذ السماء في اللغة هو كل ما علاك وأظلك والأرض كل ما تحت قدمك فأرض النار الدرك الأسفل وسمواتها أطباق دركاتها طبقا فوق طبق إلى أن ينتهي إلى الصخرة التي فوقها نظير العرش فوق الجنة كما مر واللّه أعلم بحقيقة الحال . فعلم أيضا أن أرض النار وسمواتها باقيات خالدات ومعنى" إلا ما شاء ربك" يعني إلا ما شاء اللّه بعد خلودهم فيها من أنواع الآلام والعقوبات المتلونة الزائدة لهم على عقوبة الحبس الدائم . قال الشيخ أبو طاهر: وهذا الذي استنبطته من نظري في معنى هاتين الآيتين رأيته بعد ذلك منقولا في تفسير الحسين بن الفضل[٢] وكان ذلك مثل وقع الحافر على الحافر وهو أصح ما قيل في الآيتين فإن فيهما نيفا وعشرين قولا كلها ضعيف . قال : ومثال تفسيرنا هذا مثال ملك استخلص بعض رعيته لنفسه وأسكنه معه في داره وكان يفيض

(١)أخرجه البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢)الحسين بن الفضل هو عالم ومفسر قرآن كريم من القرن الثالث الهجري. عُرف بتفسيراته الدقيقة والعميقة توفي ٢٨٢هـ انظر الأعلام ج٢/ص٢٥٢.

عليه من مباره وخيره وحبس بعض رعيته في سجنه وصار يأمر كل يوم مع ذلك بأنواع العقوبات لهم ثم صار الملك يخبر الناس عن حال الفريقين ويقول: أما فلان ففي رعايتي وجواري يتبوأ معي في داري ما عشت إلا ما شئت له زيادة على جواري وإحساني وخلعي عليه، وأما فلان في سجني ما عشت إلا ما شئت له من أنواع المثلات والآلام بصنوف العقوبات زيادة له على الحبس الدائم قال وهو كلام سديد فتأمله فإنه نفيس اليواقيت)[١].

النص الحادي والعشرون: كيف يتصور الخلود الدائم والنعيم الأبدي والعذاب السرمدي عقلا ؟

يقول الإمام الشعراني:(فإن قيل كيف يتصور الخلود الدائم والنعيم الأبدي وكذلك العذاب السرمدي في العقل ؟ فالجواب: (يتصور ذلك في العقل بتجدد حالات بعد حالات على الدوام وأما عدم تناهي ذلك فيما لا يزال فيدركه العقل المجرد ويتقاعس عنه الوهم والخيال فلا يكاد يخيل ذلك لعجزه عن التصوير مع كونه يدرك ذلك بالدليل، وقد قرب الإمام الغزالي[٢] رحمه اللّه ذلك بقوله : من عجز عن تخيل العدد الغير المتناهي فليقدر أن اللّه تعالى خلق مثل هذه الدنيا ألف ألف مدينة وملأها كلها من الحب ثم خلق طيرا يلتقط في كل ألف ألف سنة حبة واحدة فإنه تنفذ تلك الحباب من المدائن كلها ويبقى الأبد كما كان وقد ورد في الحديث نحو ذلك)[٣] .

(١) اليواقيت ج ٢ص ٦٤٦/ ٦٤٧.

(٢)بُو حَامِدٍ مُحَمَّدٌ الغَزَّالِيُّ الطُّوسِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ الصُوفِيُّ الشَّافِعِيُّ ، (٤٥٠ هـ – ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨م – ١١١١م)الأعلام ج٧/ ٢٢.

(٣)اليواقيت ج٢/ص ٦٤٧/ ٦٤٨

النص الثاني والعشرون: النية جزاؤها ممتد.

يقول الإمام الشعراني:(فإن قيل: فما سبب إعطائهم هذا النعيم المقيم والجزاء العظيم الزائد على مدة طاعاتهم في دار الدنيا؟ فالجواب: السبب في ذلك نيتهم الصالحة التي كانوا عليها في دار الدنيا وذلك أن أحدهم كان يتمنى لو أنه عاش أبد الآبدين لكان مطيعا للّه تعالى لا يشرك به شيئا عكس أهل النار فلما قصرت بالمؤمن العناية الإلهية ولم يستوف ما نواه من دوام الأعمال أعطاه اللّه تعالى نظير هذا التمني في الجنة فيكون له فيها كل ما يتمناه فلحق هذا بأصحاب تلك الأعمال التي كان نواها أبد الآبدين مع راحته في دار الدنيا من التعب كما ورد ذلك فيمن نوى أنه يقوم من الليل فأخذ اللّه روحه إلى الصباح يكتب اللّه له أجر قيامه الذي نواه)[١].

النص الثالث والعشرون: كل واحد ينزل في داره بالأعمال ويخلد فيها بالنيات.

يقول الإمام الشعراني:(فإن قلت فما الوجه الجامع بين قوله تعالى ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النَّحْل : ٣٢]: وبين قوله صلى اللّه عليه وسلم " لا يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول اللّه قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته" [٢] فالجواب (: هذا من تعليق الأسباب على مسبباتها[٣] ومعلوم أن الكل من اللّه تعالى فمن نظر إلى توقف دخول الجنة على العمل قال : إنه دخل الجنة بعمله، ومن نظر إلى خالق السبب قال : إنه دخل الجنة بفضل اللّه ورحمته. ونقل الشيخ الكامل الراسخ محيي

(١)اليواقيت ج٢/ ص٦٦٧: ٦٦٨.

(٢)أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

(٣) راجع المنح السنية على الوصية المتبولية للشعراني ط مكتبة الثقافة الدينية الطبعة الأولى ٢٠٠٤، ص ٨.

الدين بن عربي في الباب التاسع والثمانين والمائتين من الفتوحات من الشيخ أبي مدين[١] إمام الجماعة رضي اللّه عنه أنه كان يقول : يدخل السعداء الجنة بفضل اللّه ويدخل الأشقياء النار بعدل اللّه، وكل أحد ينزل في داره بالأعمال ويخلد فيها بالنيات انتهى ، قال الشيخ محيي الدين وهو كلام صحيح وكشف مليح خبر عليه حشمة وأدب ووقار انتهى واللّه أعلم[٢].

تلك هي أشهر نصوص اليواقيت والجواهر نقلها الشعراني عن ابن عربي التي تدل على عدم العفو عن الكفر وخلود الكافرين في النار.

النص الرابع والعشرون: يدخل السعداء الجنة بفضله والأشقياء النار بعدله وينزلون في دارهم بالأعمال ويخلدون بنياتهم المصرون عليها.

قال الشعراني في الكبريت الأحمر: (قال الشيخ في الباب التاسع والثمانين ومائتين ما نصه:(روينا عن الشيخ أبي مدين إمام الجماعة رضي اللّه عنه أنه كان يقول: يدخل السعداء الجنة بفضل اللّه والأشقياء النار بعدل اللّه وكل منهم ينزل في داره بالأعمال ويخلد فيها بالنيات التي مات مصرّا عليها بمعنى أنه لو مات وهو مؤمن عازم على ارتكاب ذنب سنة مثلا خلد في النار قدر سنة أو وهو عازم على عدم التوبة منه إلى أن يموت خلد في النار قدر عمره، وكل ذلك إن شاء اللّه تعالى ثم إن شاء غير ذلك فعفوه أوسع واللّه تعالى أعلم، غير أن الذي وصل إلى علمنا أطول الناس مكثا في جهنم من عصاة الموحدين من يمكث نحو خمسين ألف سنة ولعله كان يفرض أنه لو عاش إلى القدر المذكور لبقي على معصيته إلا أن يعتقد أن أحدا يريد منهم على ذلك أبدا لا بنص، قال : وهو

(١) شعيب ين الحسن الاندلسي التلمساني أبو مدين ، ت: ٥٩٤هـ انظر الأعلام ج٣/ ص١٦٦. شذرات الذهب ج٤/ ٣٠٣.

(٢)الفتوحات ج ٤/ ٤١٥/اليواقيت ج٢/ ص ٦٧٥).

كشف صحيح وكلام حر عليه حشمة انتهى[١]قال : الشيخ محيي الدين رحمه اللّه: (وأصناف أهل الجنة أربع : الأول : الأنبياء والرسل . والثاني: أتباعهم بشرط أن يكونوا على بصيرة وبينة من ربهم وهم الأولياء والعلماء والعاملون . الثالث: المؤمنون أي المصدقون بالأنبياء وبما جاءوا به من الشرائع . الرابع : العلماء بتوحيد اللّه من أنه لا إله إلا هو بالأدلة العقلية . قال: ومقام كل صنف متميز عن الآخر هناك بالنزول وإن كان نازلا في الدرجة بالعلو إن كان عاليا ولا حسد بين الأدنى والأعلى هناك بخلاف الدنيا .قال : وإذا وقع التجلي الإلهي للرؤية ويكونون جلوسا على مراتبهم فالأنبياء على المنابر والأولياء على الأسرة والعلماء باللّه على الكراسي ، والمؤمنون المقلدون في توحيدهم على مراتب وذلك الجلوس كله يكون في جنة عدن على الكثيب الأبيض قال : وأما من كان موحدا من طريق النظر في الأدلة فيكون جالسا على الأرض وإنما نزل على هذا عن الرتبة التي للمقلد في التوحيد؛ لأنه يطرقه الشبه من تعارض الأدلة والمقالات في اللّهّ وصفاته فمن كان تقليده جزما هو أوثق إيمانا ممن يؤخذ توحيده من النظر في دلالة يؤولها، قال : كان ضيافة أهل الجنة زيادة كبد الحوت إذا دخلوها بشرى لأهل الجنة ببقاء الحياة لهم فيها لأن الحوت حيوان بحري مائي من عنصر الحياة المناسب للجنة بخلاف ضيافة أهل النار تكون بطحال الثور الذي هو بيت الغم ومجمع أوساخ البدن . قال : وخلق اللّه تعالى الجنة بطالع الأسد الذي هو الأقليد؛ لأنه برج ثابت ، فللجنة الدوام وللأسد القهر، ولذلك يقول أهلها للشيء كن فلا يتخلف عن التكوين وليس في البروج من له السطوة مثل الأسد . قال: وأما الجنة المعنوية التي هي كالروح للجنة المحسوسة فخلقها اللّه تعالى من الفرح والسرور والابتهاج فأجسام أهل الجنة

(١) (الفتوحات ج ٤/ ص ٤١٥) . اليواقيت ج٢/ ص ٦٧٥).

تتلذذ بالأمور الجسمانية وأرواحهم تتلذذ بالأمور المعنويات كالروائح والنغمات الطيبة والصور الحسان وغير ذلك . قال: لو كانت الأجسام تتلذذ بالمعاني لكان كل حيوان من البهائم يتلذذ برؤية كل وجه جميل وليس الأمر كذلك فما كل نعيم أهل الجنة إلا بتلذذهم بها حسا ومعنى لأنها دار الحيوان بل نقول: هي أشد تنعما بأهلها الداخلين فيها كما ورد أنها تقول : " يا رب ائتني بأهلي فقد كثر حليي وعبقريي "[١] . الحديث، قال : الناس في الشوق على أقسام فعصاة المؤمنين يشتاقون إلى الجنة وهي لا تشتاق إليهم وأرباب الأحوال من الأولياء تشتاق إليهم الجنة وهم لا يشتاقون إليها لسكرهم بحلالهم، والمكذبون بيوم الدين والقائلون بنفي الجنة المحسوسة لا تشتاق إليهم الجنة ولا يشتاقون إليها)[٢].

النص الخامس والعشرون: المرد إلى الله تعالي إلى جنة أو نار خلود بلا موت وإقامة بلا ظن.

يقول الإمام الشعراني في كتابه كشف الغمة عن جميع الأمة : (خاتمة : في خلود أهل الجنة فيها وذبح الموت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول في خطبته كثيرا: " يا أيها الناس إني رسول الله إليكم يخبركم أن المرد إلى الله تعالى إلى الجنة أو نار خلود بلا موت وإقامة بلا ظن "[٣]. وفي رواية : يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم: يا أهل الجنة لا موت يا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه . وكان صلي الله عليه وسلم يقول : " إذا دخل أهل الجنة الجنة

(١)أخرجه البزار (٩٥١٨)، وابن أبي حاتم في (التفسير) (١٣٥٢١) باختلاف يسير، والطبري في (التفسير) (١٤/٤٢٤).

(٢)(الكبريت الأحمر ص٦٥١/ ٦٥٣ .

(٣)الفتوحات ج١/٤٨١ ، الكبريت الأحمر ص٦٥١/ ٦٥٣ .

ينادي مناد : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا. وكان صلي الله عليه وسلم يقول " يؤتى بالموت يوم القيامة كهيئة كبش أملح فيوقف علي الصراط بين الجنة والنار" ، فيقال : يا أهل الجنة ! فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يقال : يا أهل النار ! فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ، فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت ، وكلهم قد رأوه فيذبح علي الصراط ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود بلا موت، و يا أهل النار خلود بلا موت، فلو أن أحد مات فرحا لمات أهل الجنة ، ولو أن أحد مات حزنا لمات أهل النار[١] ، فيأمل أهل الجنة وينقطع رجاء أهل النار، نسأل الله أن يحقق رجاءنا فيه بدخول الجنان ويجيرنا من عذاب النار، إنه المنعم المنان)[٢] .

النص السادس والعشرون: الكافر عقابه في الآخرة العقوبة الدائمة أبد الآبدين.

يقول الإمام الشعراني عند حكم تكفير أحد من أهل القبلة: (حكم تكفير أهل الأهواء والبدع قد بسطنا الكلام فيه عن تكفير أهل الأهواء والبدع، فلا نكفر أحد من أهل القبلة بذنب في كتابنا (اليواقيت والجواهر)، وذكرنا أن الإمام أبا الحسن الأشعري[٣] رحمه الله رجع عن

(١)أخرجه البخاري (٦٥٤٥) مختصراً، والترمذي (٢٥٥٧) مطولاً بنحوه، وابن ماجه (٤٣٢٧) بنحوه، وأحمد (٩٤٤٩).

(٢) كشف الغمة ص ٣٣٠: ٣٣١.

(٣) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠ – ٣٢٤ هـ/ ٨٧٤ – ٩٣٦ م). انظر الأعلام ج٤/ ص ٢٦٣.

تكفير أهل البدع والأهواء، وقال عند موته: اشهدوا علي أني لم اكفر أحدا من أهل القبلة بذنب؛ وذلك لأني رأيتهم كلهم يشيرون على معبود واحد، والإسلام يشملهم ويعمهم، وفي رواية أنه قال: لا أكفر أحدا من أهل القبلة؛ لأن الجهل بالصفات ليس جهلا بالموصوف.... انتهى وتبعه أكثر الأئمة على ذلك، وقالوا: إن التكفير أمر هائل عظيم الخطر ومن كفر إنسانا فكأنه أخبر عنه بأن عقابته في الآخرة العقوبة الدائمة أبد الآبدين)[١].

النص السابع والعشرون: عقيدة ابن عربي .

ما قاله الإمام الشعراني يطابق ما ذكره الشيخ ابن عربي في فتوحاته عن عقيدته فيقول: (فيا إخوتي ويا أحبائي رضي الله عنكم أشهدكم عبد ضعيف مسكين فقير إلى الله تعالى في كل لحظة وطرفة وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشئه، أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته، ومن حضره من المؤمنين وسمعه أنه يشهد قولا وعقدا أن الله تعالي إله واحد ...، الشهادة الثانية إلى أن قال: والجنة حق والنار حق وفريقا في الجنة وفريقا في النار حق، وكرب ذلك اليوم حق على طائفة وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين، وإخراج أرحم الراحمين بعد الشفاعة من النار من شاء حق، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حق، والتأبيد للمؤمنين والموحدين في النعيم المقيم في الجنان حق، والتأبيد لأهل النار في النار حق وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله علم أو جهل حق، فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كل من وصلت إليه أن يؤديها إذا سئلها حيث كان نفعنا الله وإياكم بهذا الإيمان)[٢].

(١) القواعد الكشفية١٩٨/٢٠٠.

(٢) الفتوحات المكية ج١/ص ٦٢.

هذه نصوص دافع فيها ابن عربي عن نفسه مما دس عليه من أنه يقول: بخروج الكافرين من النار، وفناء الجنة والنار، وبإيمان فرعون، وأن أهل النار يتلذذون بها إلى غير ذلك مما دس عليه من حساده، وسوف نورد رد الإمام الشعراني وابن عربي عن بعض من الشبهات التي ألصقت بابن عربي في المطلب الثالث.

المطلب الثالث

دفع الإمام الشعراني ما يثار حول مذهبه من شبهات.

دفع الشعراني ما أثير حول مذهبه من شبهات؛ ليسلم له مذهبه، وبذا يرد على الطاعنين في مذهب ابن عربي أيضا، وجاء رده كالتالي:

الشبهة الأولى: (هل الخلود في النار غير أبدي؟)[١].

يصور الإمام الشعراني هذا الاعتراض فيقول: (ومما أجبت به من يتوهم من قول الله تعالى للقلم في الحديث القدسي: "اكتب علمي في خلقي إلى يوم القيامة "[٢]أن الشقاء ينقضي؛ لأنه من جملة ما كتبه القلم وقال: جميع ما كتبه القلم خاص بالأمور الواقعة في الدنيا فقط لتناهيها، وأما الآخرة فلا يكتب القلم علمه تعالى فيها لعدم تناهيها، وما لا يتناهى أمده لا يحويه الوجود، والكتابة وجود ..انتهى)[٣].

وقد رد الإمام الشعراني على هذا الاعتراض فقال: (والجواب: أنه يجب قطعا اعتقاد تأبيد الخلود في النار لأهل النار الذين هم أهلها، وهم أربع طوائف: المشركون بالله، والمتكبرين على الله، والمنافقون، والمعطلون،

---

(١)القواعد الكشفية ص١٩٨.

(٢)الحديث أخرجه أبو الشيخ بسند جيد في العظمةج٢/ص٢٣٥ عن ابن عباس في هامش القواعد الكشفية ص ١٩٨، وابن كثير ج٣/ ص٢٣٥.

(٣)القواعد الكشفية ص١٩٨.

فإن الخلود في الدارين لأهلها قد ثبت بالنصوص القاطعة، وذلك لا ينافي دخوله في الكتابة للبغاة بقوله تعالى: "اكتب علمي في خلقي إلى يوم القيامة "[١]؛ لأن المراد: اكتب علمي في خلقي الذي من جملته تخليد الكافرين في النار، أو المراد اكتب أعمالهم وأقوالهم التي يجازون عليها إلى يوم القيامة، وأما الجزاء الأبدي فلا تدخله الغاية إلا لكونه أبديا، وأما غيره فتكتب غايته، فهو نظير قول الإنسان لغلامه: إن فعلت كذا في اليوم الفلاني حبستك سنة، أو لا أطلقك حتى أموت، وسمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله[٢] يقول: قد غلط قوم من المتصوفة فقالوا: إن مدة الشقاء تنقضي، فصادموا بذلك النصوص القطعية، ولو أنهم تأملوا الوجه والتأبيد لأهل النار فيها من توابع تلك الأحكام التي كتبها القلم عليهم لتجزى كل نفس بما نوت وعزمت، وقد كان أهل النار عازمين على الدوام على كفرهم، ما داموا أحياء، ولو أبدا، فجازاهم الله تعالى بالتأبيد في العذاب لعزمهم على التأبيد في الكفر، ومخالفة الرسل)[٣].

الشبهة الثانية: (في معنى السبق والغلبة)[٤].

يصور الإمام الشعراني هذا الاعتراض أن رحمة الله تعالى سبقت غضبه وبذلك ينقضي عذاب الكفار ويدخلون في الرحمة بعد ذلك فيقول: (ومما أجبت به من يتوهم من قوله في الحديث القدسي:" إن رحمتي سبقت

---

(١) سبق تخريجه .

(٢)علي بن خليل المرصفي صوفي مصري ٩٣٠هـ =١٥٢٤م. راجع الأعلام ج٤/٢٨٦. وانظر الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار للشعراني ط دار الفكر للطباعة ج٢/ ص ٢٧.

(٣)القواعد الكشفية ص١٩٨: ١٩٩.

(٤)القواعد الكشفية ص ٢٦٨.

غضبي"[١] وفي رواية" غلبت غضبي"[٢]إن معنى السبق والغلبة انتهاء مدة الغضب على أهل النار، ودخولهم في الرحمة والجنة بعد ذلك)[٣].

ويجيب على هذا الاعتراض فيقول: (والجواب: أن هذا أمر لا يجوز اعتقاده بإجماع المسلمين في حق أهل الخلود في النار)[٤](وقد قال الشيخ محي الدين رحمه الله في الفتوحات: (إياك أن تفهم يا أخي من قول بعضهم: إن أهل النار لابد أن تنالهم رحمة الله، ثم يخرجون منها إلى الجنة: أن مرادهم بأهل النار الذين هم أهلها، فإن ذلك لا يقوله عاقل، وإنما مرادهم بذلك عصاة الموحدين فقط فإياك والغلط[٥])[٦].

وربما يعترض معترض فيقول: سبب كثرة النصوص عند ابن عربي في البحث، فنقول: هذا قليل من كثير وغيض من فيض فكل نص من هذه النصوص له معنى مستقل بذاته، وكذا كل نص يضيف معنى جديد عن غيره، وبانضمامها إلي بعض يتضح مذهب الشعراني وابن عربي الممثلين لأهل الكشف.

استقى الإمام الشعراني أصول مذهبه في تلك المسألة من أهل الكشف وخاصة ابن عربي، والإمام الجيلي، والمتكلمين وعلى رأسهم الغزالي وابن جماعة، وأن عصاة الموحدين فقط هم الذين يخرجون من النار، وأن

(١)الحديث أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب وَكَانَ عَرشُهُ عَلَى ٱلمَآءِ [سورة هود، الآية ٧] : حديث رقم ٧٤٢٢.

(٢)أخرجه البخاري كتاب بدء الحلق ، كتاب" وهو الذي يبدوا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه " حديث رقم ٣٢٩٤.

(٣)القواعد الكشفية ص ٢٦٨.

(٤)القواعد الكشفية ص ٢٦٨

(٥)الفتوحات المكية نقلا عن القواعد الكشفية ٢٦٨.

(٦)القواعد الكشفية ص ٢٦٨.

فرعون معذب بالنار ومخلد فيها، كما أن الإمام الشعراني يعتقد بخلود الكافرين في النار أبد الآبدين، ولا يخرجون منها كما هو واضح من خلال كتابه القواعد الكشفية، والفتوحات المكية لابن عربي، وقد أكد الإمام الشعراني ذلك في كتابه اليواقيت والجواهر حين بسط الكلام على أهل الجنة وأهل النار وعن أحوالهم في الدارين ، وكذا كتابه كشف الغمة، قد غلط قوم من المتصوفة بقولهم: إن مدة الشقاء تنقضي، فاصطدموا بذلك بالنصوص القطعية، كما أن خروج الكفارعند النسفي من النار وعدم تأبيدهم فيه مخالفة للحكمة وظاهر الشريعة، وقد علم الله تعالى الأشياء قبل خلقها وبذا قدرها وكتبها، كما أجاز الإمام الأشعري العفو عن الكفر عقلا لا شرعا، وقول الباقلاني[١] بإيمان فرعون مردود عليه كما مر آنفا. والواضح أن هناك اتفاق بين أهل السنة والجماعة في المبدأ واختلفوا في التطبيق؛ لأن التكفير أمر هائل عظيم الخطر ومن كفر إنسانا فكأنه أخبر عنه بأن عقابته في الآخرة العقوبة الدائمة أبد الآبدين، كذا أهل الكشف متفقون مع المتكلمين في ذلك[٢]

(١) محمد بن الطيب الباقلاني الأعلام ج ٦/ص١٧٦.

(٢) الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية للشعراني ت لجنة التراث بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٩م ص ١١٤.

خاتمة وتحتوي على.

أولا: أهم النتائج التي توصلت إليها.

١) ترى المرجئة والجهمية والكرامية جواز العفو عن الكفر، بينما ترى الخوارج والشيعة والإباضية والمعتزلة أن الكفر لا يجوز العفو عنه، حتى أنهم خلدوا أهل الكبائر في النار، وسبب اختلافهم منطلقهم في حد الإيمان، حيث يرى الفريق القائل بالعفو عن الكفر أن الإيمان: معرفة وإقرار، بينما يرى الفريق الذي لا يجوز العفو عن الكفر أن الإيمان: تصديق وعمل، وهذا بخلاف رأي جمهور المسلمين الذين حيث يرون أن الإيمان تصديق فقط، لذا لا يجوزن العفو عن الكفر.

٢) منطلق المعتزلة في مسألة العفو عن الكفر مبني على أصولهم الخمسة وخاصة أصل الوعد والوعيد، ومرتكب الكبائر، فيرون أن العصاة كفارا أو فساقا مخلدون في النار، لذا ولا يجوز العفو عنهم كما لا يجوزون فناء الجنة والنار لا عقلا ولا سمعا .

٣) يرى الأشاعرة أن عذاب الكفار دائم لا ينقطع سمعا لا عقلا؛ وبالتالي لا يجيزون العفو عن الكفر.

٤) يرى الماتريدية أنه لا يجوز العفو عن الكفر لا سمعا ولا عقلا؛ لأن ذلك فيه مخالفة للحكمة.

٥) يرى النسفي أنه لا يجوز العفو عن الكفر لا عقلا ولا سمعا؛ لأن ذلك فيه مخالفة للحكمة، والعدل والعقل والسمع مثله في ذلك مثل رأى الماتريدية.

٦) يفرق الإمام النسفي بين الكفر وما دونه، فيرى أنه لا يجوز العفو عن الكفر، بينما يرى أن ما دون الكفر فأمر صاحبه مفوض إلى الله إن نشاء عفا عنه وإن شاء عذبه، وهو بذلك لا يخرج من مظلة أهل السنة

والجماعة، كما يرى أن الشفاعة لا تجوز للكافرين بل يخلدون في النار أبد الآبدين.

٧) استقى الإمام الشعراني مذهبه من الإمام الجيلاني، والغزالي وغيرهم من المتكلمين.

٨) دس حساد ابن عربي عليه مايخالف ظاهر الشريعة، وكذلك دس على الإمام الغزالي.

٩) يصرح ابن عربي أن أهل الجنة والنار مخلدون فيهما أبد الآبدين.

١٠) يرى ابن عربى أن النار لعصاة الموحدين غير سرمدية بعكس الكافرين حتى رفع الإمكان من قلوبهم من الخروج منهما أبد الآبدين.

١١) يرى ابن عربي أن النار سجن الله تعالى في الآخرة للكافرين أبد الآبدين ودهر الداهرين.

١٢ يرى ابن عربى أن باب الحجاب لا يفتح لأهل النار أبدا وأن في النار أربعة أقسام مؤبدة بعكس أهل النار.

١٣) يرى ابن عربى عدم تأبيد عصاة الموحدين بعكس الكافرين.

١٤) يرى ابن عربى أنه لا يخفف على الكافرين بالحرق والكي فهما لعصاة الموحدين.

١٥) يرى ابن عربي أن أهل الجنة لهم أن يتبوؤا حيث شاءوا بعكس أهل النار لا يبرحون أماكنهم أبدا.

١٦) يرى ابن عربى أن عصاة الموحدين لا يخلدون في النار وإنما يخلد الكفار في النار أبدا.

١٧) يرى ابن عربى فك التعارض لبعض الأيات التي يوهم ظاهرها تلذذ الكفار بالعذاب.

١٨) يربى ابن عربى أن عصاة الموحدين مهما طال مكثهم في النار لا يخلدون فيها عكس الكافرين.

١٩) يرى ابن عربى أن لأهل النار حظ من النعيم ولكن صورة نعيمهم عدم توهمهم وقوع العذاب بهم عكس الكافرين فصورة نعيمهم أنهم يتلذذون بالعذاب المتخيل في حال الغشية وبالعذاب المحسوس في حال الإفاقه.

٢٠) يرى ابن عربى أن عصاة الموحدين ينامون في النار ونعيمهم في منامهم الرؤية الحسنة عكس الكافرين.

٢١) يرى ابن عربى قول إبليس إني اخاف الله ليس بإيمان، وكذا قول فرعون آمنت بما آمنت به بنوا إسرائيل فقولهما ليس بإيمان.

٢٢) يرى ابن عربى أن النار تغلق على الكافرين للأبد.

٢٣) دس على ابن عربي إفتراءات وإشاعات كاذبة كقوله أن أهل النار يخرجون منها بعد تعذيبهم وأنهم يتلذذون فيها ولوخرجوا منها لطلبوا الرجوع إليها.

٢٤) يرى ابن عربى أن للجنة سماوات وأراضين باقيات أبد الآبدين.

٢٥ يرى ابن عربي أن الخلود الدائم والنعيم الأبدي والعذاب السرمدي يمكن تصوره عقلا.

٢٦) يرى ابن عربى أن النية جزاؤها ممتد أبد الآبدين ودهر الداهرين.

٢٧) يرى ابن عربى أن كل واحد ينزل في داره بالأعمال ويخلد فيها بالنيات.

٢٨) يرى ابن عربى دخول السعداء الجنة بفضل الله والأشقياء النار بعدله وينزلون في دارهم بالأعمال ويخلدون بنياتهم المصرون عليها.

٢٩) يرى ابن عربى أن المرد إلى الله تعالى إلى جنة أو نار خلود بلا موت وإقامة بلا ظن.

٣٠) يرى ابن عربى أن الكافر عقابه في الآخرة العقوبة الدائمة أبد الآبدين.

٣١) عقيدة ابن عربي لا تخالف عقيدة أهل السنة والجماعة.

ثانيا: أهم التوصيات التي أوصي بها:

١) عدم مخالفة ظاهر الشرع.

٢.) محاولة التوفيق بين النقل والعقل ودرء ما يوهم بينهما من تعارض.

٣) محاولة الاستدلال بكل ما يوصل للحقيقة من لغة، ونقل، وعقل، وإجماع.

٤)أوصي بدراسة المنطلقات لكل مذهب من المذاهب.

٥ـ)أوصي بمحاولة درء ما يوهم ظاهره التعارض بين هل السنة وأهل الكشف.

٦) محاولة دفع ما يتوهم من نعارض بين المتكلمين وأهل العرفان ووبينهم وبين الفلاسفة من جهة أخرى.

٧) لا يجوز أهل السنة العفو عن الكفر، ولا يجوزون الخروج من النار.

٨) لا يجوز أهل السنة والجماعة الشفاعة الشفاعة للكفار.

٩) لا يخلد أهل الكبائر عصاة المؤمن في النار.

١٠) محاولة التوفيق بين المتكلمين وأهل الكشف في مسائل العقيدة.

الفهارس و تتنوع إلى:

أ) فهرس المصادر:

١ـ القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية للعالم الرباني سيدي عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (٨٩٨ـ ٩٧٣هـ) تحقيق أحمد عبد الرازق البكري مكتبة أم القرى.

٢. الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية للعالم الرباني سيدي عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (٨٩٨ـ ٩٧٣هـ) تحقيق لجنة التراث الدار دار صادر بيروت ، دار البشائر دمشق الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٣ـ كشف الغمة عن جميع الأمة للشعراني (٨٩٨ـ ٩٧٣هـ) حققه محمد عبد القادر شاهين مطبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٧.

٤ـ المنح السنية على الوصية المتبولية تأليف الإمام العارف بالله عبد الوهاب الشعراني الناشر مكتبة الثقافة الدينية الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م

٥. البحر المورود في المواثيق والعهود تأليف الإمام العارف بالله عبد الوهاب الشعراني الناشر مكتبة الثقافة الدينية الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م

٦ـ الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار تأليف أبي المواهب عبد الوهاب بن علي الأنصاري الشعراني دار الفكر

٧. الأنوار القدسية في بيان آيات العبودية تأليف أبي المواهب عبد الوهاب بن علي الأنصاري الشعراني دار الفكر

٨ـ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر. تأليف أبي المواهب عبد الوهاب بن علي الأنصاري الشعراني دار الفكر

٩. فصوص الحكم للشيخ محي الدين ابن عربي بقلم أبو العلى عفيفي دار الكتاب العربي بيروت لبنان

١٠ـ الفتوحات المكية لابن عربي دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.
١١ـ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام النسفي اعتنى به عبد المجيد طعمه حلبي ط دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠ .
١٢ـ شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة لأبي البركات النسفي تحقيق الأستاذ الدكتور / عبدالله محمد عبدالله إسماعيل الطبعة الثانية ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م ط دار الطباعة.
١٣. الإبانة عن أصول الديانة للإمام الأشعري ط إدارة الطباعة الأميرة.
١٤. كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع للإمام أبي الحسن الأشعري المتوفي سنة
١٥. العقيدة الركنية في شرح لا إله إلا الله محمد رسول الله لركن الدين عبيد الله بن محمد السمرقندي المتوفي سنة ٧٠١ هـ = ١٣٠١م . تحقيق ودراسة مصطفى سنان أوغلي إسطنبول ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨.
١٦ـ المعتزلة / لزهدي حسن جارالله مطبعة مصر القاهرة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .
١٧ـ في علم الكلام د/ أحمد محمود صبحي ط النهضة العربية الطبعة الخامسة.١٤٠٥هـ
١٨. تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام للسنندجي ط ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥.
١٩ـ غاية المرام في علم الكلام للآمدي ت حسن عبد اللطيف ط القاهرة ١٣٩١ هـ = ١٩٧١م.
٢٠ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ت عبد الفتاح الحلو (مصر ١٩٩٣م)
٢١. الاعلام للزركلي / ط العلم للملايين بيروت لبنان الطبعة الرابعة عشر ١٩٩٩م.
٢٢. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ط إحياء التراث العربي بيروت.

٢٣ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني د حسن إبراهيم ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧ م .
٢٤. الكامل في التاريخ لأبن الأثير دار صادر بيوت ١٩٧٩م.
٢٥ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ٤٧ ط دار صادر بيروت أخرى مكتبة السعادة
١١ . الأنساب للسمعاني تحقيق عبدالله البارودي ط / دار الجنان بيروت ط ١ ١٤٠٨هـ ٢٦
٢٧ـ كتائب أعلام الأخبار من فقهاء مذهب النعمان المختار للكفوي ط مكتبة السلمانية.
٢٨ـ أساس التقديس / للرازي / تحقيق عبدالله اسماعيل / ط المكتبة الأزهرية ١٤٣٥ هـ
٢٩. أصول للدين للبزدوي ت هانز ط المكتبة الأزهرية للتراث لعام ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م
٣٠. معالم أصول الدين للرازي / ت السقا / ط مكتبة الايمان ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م
٣١. الاعتماد في الاعتقاد للنسفي ت د عبدالله اسماعيل ط١/ ١٤٣١المكتبة الأزهرية للتراث
٣٢. نهاية الأقدام في علم الكلام للشهرستاني ص ٣٦٩ ط المتنبي ت الفرد جيوم .
٣٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل . للزمخشري ط دار إحياء التراث العربي
٣٤ـ تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار / ط دار النهضة الحديثة بيروت لبنان
٣٥. الإبانة للإمام الاشعري الطباعة المنيرية .
٣٦. شرح العقائد النسفية للتفتازاني الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧ م

٣٧ـ الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ت د إنصاف رمضان ط الأولى ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣ .
٣٨ـ الجمل في النحو للخليل الفراهيدي ت : د. فخر الدين قباوة ط : الخامسة ١٤١٦هـ
٣٩ـ المنية والأمل للقاضي عبد الجبار جمع ابن المرتضى ط / دار المعرفة ١٩٨٥م
٤٠. العلم الشامخ للمقبلي ص ١٦٧. ط دار البيان بشير محمد عيون عام ١٩٨١م
٤١ـ المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار تحقيق عمر السيد عزمي ط المؤسسة المصرية.
٤٢ـ التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض لابن متوية ت فيصل عون ط دار الثقافة بالقاهرة
ـ منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر للقاري ط ١ (١٤١٩هـ = ١٩٨٨ ٤٣
٤٤. التهذيب للخبيصي على تهذيب المنطق للتفتازاني ط ٢٠٠٥ م
٤٥ـ احياء علوم الدين للغزالي / ط الأرقم بن أبي الأرقم / تحيق عبدالله الخالدي
٤٦. الكامل في التاريخ لابن الأثير ط دار صادر بيروت ١٩٧٩
٤٧. التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي ط الطباعة المحمدية ط ١ ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م
٤٨. اللمع للأشعري ت حمودة غرابة مكتبة الخنجي بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٣١هـ٢٠١١م
٤٩ـ التمهيد لقواعد التوحيد للملاشي / ت عبدالمجيد تركي / ط ١ دار الغرب ١٩٩٥
٥٠. أبو حنيفة حياته وعصره آراؤه وفقه لأبي زهرة دار الفكر العربي الطبعة الثانية .

٥١. القاموس المحيط للفيروز آبادي / ت مكتبة التراث ط ٨ / ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م بيروت .
٥٢ـ الملل والنحل للشهرستاني ط دار المعرفة بيروت لبنان ط / ٦ ١٤١٧هـ = ١٩٩٧ .
٥٣. العالم والمتعلم للإمام أبي حنيفة / الكوثري / ط المكتبة الأزهرية للتراث ط/ ١ /١٤٢١هـ
٥٤. الوصية للإمام أبو حنيفة الكوثري / ط المكتبة الأزهرية للتراث ط/١ / ١٤٢١هـ
٥٥ـ الفقه الأبسط لأبي حنيفة ت الكوثري / ط المكتبة الأزهرية للتراث ط ١ ١٤٢١هـ.
٥٦. أبو الحسن الأشعري د حمودة غرابة ط الأميرية بالقاهرة لعام ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.
٥٧ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير دار الكتب العلمية ط١/ ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .
٥٨ـ الفرق بين الفرق للبغدادي ت/ دار إحياء التراث العربي بيروت ط٥/ ١٤٠٢هـ.
٥٩ـ صحيح مسلم ت/ محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٦٠. الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي المتوفي عام ٧٥٦هـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.
٦١ـ التعريفات للجرجاني ضبطه محمد على أبو العباس مكتبة القرآن ٢٠٠٣ م.
٦٢ـ التبصير في الدين للإسفرايني ت الحوت ط عالم الكتاب بيروت ط١/ ١٤٠٣هـ.
٦٣. صحيح البخاري ط دار طوق النجاة الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .
٦٤. المعجم الوجيز/ طبعة وزارة التربية والتعليم.

٦٥ـ تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ الإمام محمد أبو زهرة / طبعة دار الفكر العربي.
٦٦ـ تأويلات أهل السنة للماتريدي ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٥.
٦٧. حاشية محمد الأمير على شرح عبد السلام جوهرة التوحيد للإمام اللقاني ط الحلبي.
٦٨ـ حاشية الباجوري ت عبد السلام عبد الهادي ط دار الفرفور الأولى ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م
٦٩ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم / ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
٧٠. شرح العقائد النسفية للتفتازاني ط المكتبة الأزهرية ٢٠١٢= ١٤٣٢هـ.
٧١ـ سير أعلام النبلاء للذهبي ط مؤسسة الرسالة ط / ٣/ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م
٧٢ـ طبقات المفسرين للسيوطي ت علي محمد عمر / ط مكتبة وهبة – القاهرة الطبعة الأولى
٧٣ـ كتاب التوحيد للماتريدي ت: د. فتح الله خليف ط / دار الجامعات المصرية بالإسكندرية
٧٤ـ لسان العرب لابن منظور الناشر دار صادر بيروت / الطبعة الثالثة لعام ١٤١٤هـ
٧٥ ـ مختار الصحاح للرازي ت يوسف الشيخ / المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ٠
٧٦. مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي ط حيدر آباد الهند، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ
٧٧ـ مقالات الإسلاميين للأشعري ت محي الدين عبد الحميد ط بيروت ١٤١١هـ = ١٩٩٠م
٧٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ط دار صادر بيروت

٧٩ـ الدرر الكامنة لابن حجر ت محمد جاد الحق (دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٦٦م(
٨٠. الطبقات السنية في تراجم الحنفية للتميمي ت عبد الفتاح الحلو ط دار هجر مصر
٨١. تفسير الرازي ط دار الفكر ط الأولى ١٤٠١هـ = ١٩٨١ م
٨٢ـ كتاب التسديد في شرح التمهيد للسغناقي ت شمس الدين كريم ط نور مبارك ٢٠١٦
٨٣. كتاب الإرشاد للجويني ط مكتبة الحلبي مصر .١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م
٨٤. تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ط دار النهضة الحديثة
٨٥. الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين ت هلموت كلوبفر ١٩٥٩ م
٨٦ـ التمهيد في بيان التوحيد للكيشي ت ساعة مراد بريموف ط طشقند ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م
٨٧. المسايرة للكمال بن الهمام ط الأولى القدس.
٨٨الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية للشعراني ت لجنة التراث بيروت الطبعة الأولى
٨٩. الاعتبار ببقاء الجنة والنار للسبكي تحقيق الدكتور طه حبيشي الجيزة ١٩٨٧م
٩٠ـ البحر المورود في المواثيق والعهود للشعراني الناشر مكتبة الثقافة الدينية .

ب) فهرس المحتويات والموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	مقدمة	٤٩٧
٢	مشكلة البحث	٤٩٧
٣	أهمية البحث	٤٩٨
٤	سبب اختيار البحث	٤٩٨
٥	منهج البحث	٤٩٩
٦	خطة البحث.	٤٩٩
٧	مدخل: إطلالة على حياة الإمام النسفي، والإمام الشعراني	٥٠١
٨	المبحث الأول: حكم جواز العفو عن الكفر وخروج الكافرين من النار عند الفرق الإسلامية	٥٠٤
٩	المطلب الأول: مذهب متقدمي الفرق الإسلامية في حكم جواز العفو عن الكفر	٥٠٥
١٠	المطلب الثاني: مذهب المعتزلة في حكم جواز العفو عن الكفر	٥٠٧
١١	المطلب الثالث: مذهب أهل السنة والجماعة في حكم جواز العفو عن الكفر	٥١٣
١٢	المبحث الثاني: حكم جواز العفو عن الكفر وخروج الكافرين من النار عند الإمام النسفي	٥٢٢
١٣	المطلب الأول : تصوير مذهب الإمام النسفي في تلك المسألة وأدلته.	٥٢٢
١٤	المطلب الثاني: تصوير مذهب الأشاعرة وأدلتهم ومناقشتهم من خلال فكر الإمام النسفي.	٥٢٨

١٥	المطلب الثالث: الفرق بين الكفر وما دونه من الذنوب وجذوره الفكرية عند الإمام النسفي	٥٣١
١٦	المبحث الثالث: حكم جواز العفو عن الكفر وخروج الكافرين من النار عند الإمام الشعراني	٥٣٩
١٧	المطلب الأول: تصوير مذهب الإمام الشعراني في تلك المسألة وجذوره الفكرية.	٥٣٩
١٨	المطلب الثاني: تصوير مذهب ابن عربي في تلك المسألة من خلال فكر الإمام الشعراني.	٥٤٢
١٩	المطلب الثالث: دفع الإمام الشعراني ما يثار حول مذهبه من شبهات.	٥٦٨
٢٠	أهم النتائج التي توصلت إليها	٥٧٢
٢١	أهم التوصيات التي أوصي بها	٥٧٥
٢٢	فهرس المصادر والمراجع	٥٧٦
٢٣	فهرس المحتويات والموضوعات	٥٨٣

وفي النهاية أقول: حسبي أني بذلت ما استطعت، فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخطأت فمن نفسي وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.